

حقائق حول التشيع وأثر الإيرانيين في نهضته

المؤلف: حسن الأمين

الترجمة والتحقيق

الدكتور السيد جمال الدين الموسوي الاصفهاني

اسم الكتاب: حقائق حول التشيع ودور الإيرانيين فيه

المؤلف: الأستاذ العلامة السيد حسن الأمين

الموضوع: تاريخ، كلام

الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

الطبعة: الأولى

المطبعة: ليلي

الكمية: 3000

تاريخ النشر: 1425 هـ

ISBN: 964-8686-98-X

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

www.ahl-ul-bait.org

كلمة المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

إنّ تراث أهل البيت (عليهم السلام) الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربي النفوس المستعدة للاعتراف من هذا المعين، وتقدّم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحنّذين لخطى أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمّن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضيّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت (عليهم السلام) وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في هذا المضمار فريدة في نوعها؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتقبله الفطرة السليمة.

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) أن يقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة من خلال مجموعة من البحوث والمؤلفات التي يقوم بتصنيفها مؤلفون معاصرون من المنتمين لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، أو من الذين أنعم الله عليهم بالالتحاق بهذه المدرسة الشريفة، فضلاً عن قيام المجمع بنشر وتحقيق ما يتوخى فيه الفائدة من مؤلفات علماء الشيعة الأعلام من القدامى أيضاً لتكون هذه المؤلفات منهلاً عذباً للنفوس الطالبة للحق، لتنتفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر تتكامل فيه العقول وتتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد. ونتقدم بالشكر الجزيل لسماحة الشيخ حسين الأمين لتأليفه هذا الكتاب...

وكلنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

المعاونية الثقافية - قم المقدسة

تمهيد

بسمه تعالى

تمهيد

الكتاب الذي بين يديك هو من أبحاث ودراسات الأستاذ السيد حسن الأمين(رحمه الله) ، الذي ألقاها كمحاضرات على مسامع الحاضرين في حسينية الإرشاد بطهران - إيران - وذلك في شهر رمضان المبارك (1392 هـ) الموافق لسنة (1350 هـ . ش).

وهو من أسرة علمية عريقة ومن البيوتات الشيعية المعروفة، نجل العلامة الشهير السيد محسن الأمين العاملي من جبل عامل بلبنان.

وهذا الأستاذ من الوجوه العلمية المعروفة في العالم الإسلامي وفي عالم التشيع، الذي لم يدخر جهداً إلا وبذله للدفاع عن المذهب الشيعي دفاعاً منطقياً وعلمياً، ومما لا يخفى على أحد مواجهته الحادة لتهجم المغرضين وتحريفات المستشرقين، وهو من أكبر المدافعين عن الشيعة باطروحاته وأبحاثه العلمية في لبنان والعالم الإسلامي.

وامتاز والده العلامة السيد محسن الأمين بخلوص الإيمان ورسوخ العقيدة والنبوغ، وبالتحقيقات العميقة والتأليف القيمة، تمكن بيراعه المقتدر أن يطرح مذهب الشيعة علمياً ومنطقياً في النوادي العلمية لأبناء المذاهب الإسلامية الأخرى وأوساط المستشرقين، وبيّن أن التشيع وجه متطور للإسلام ومذهب علمي ومنطقي يواكب كل عصر.

وقد تحرك العلامة الأمين في بداية القرن العشرين لمواجهة التحركات المشبوهة، واستيعاب التطورات الجديدة في حياة المجتمع الإسلامي والشيعي، مثل العمل في مجالات التربية والتعليم، وإيجاد المؤسسات الثقافية والتعليمية، وردّ رداً حاسماً على الخرافات والتعاليم الخاطئة، والتقاليد السيئة التي أبتليت بها المجتمعات الإسلامية وجرّت إليها الولايات والانحطاط.

ومن آثاره العلمية الكبيرة «أعيان الشيعة» الذي يعدّ دائرة للمعارف الإسلامية، دونّ هذا الكتاب في (56) جزءاً. وطبع منها (35) جزءاً في حياته(رحمه الله)، وقام بطبع باقي الأجزاء نجله ووارثه الأستاذ السيد حسن الأمين(رحمه الله) .

وقد واصل خطوات والده، بتدوين مستدركات أعيان الشيعة، التي تعدّ من آثاره الكبيرة. وكذا دونّ «الدراسات التاريخية»، بتحقيق رائع وتحليل شامل في تاريخ الإسلام .

ومن مؤلفات الأستاذ أيضاً «الدراسات الأدبية» التي تدلّ على عدم اختصاص كتاباته في رجال الشيعة وشخصياتها وتاريخها فحسب، بل له قابليات أدبية مهمة في مجال الأدب حيث جعلته في مستوى الأدباء الكبار .

ومن أهم آثاره : «دائرة المعارف الإسلامية الشيعية» التي ضحّى في سبيلها المزيد ودونها باللغة الانجليزية.

في سنة (1392 هـ . ق) قام الأستاذ برحلة علمية الى إيران وقد تفتّن الى بعض الانحرافات في المواضيع المهمة، فأراد اصلاح تلك المفاهيم الخاطئة، التي ابتلي بها بعض المفكرين في إيران، وبدأ خطاباته في حسينية الإرشاد وقد لاقى استقبالاً كبيراً في الأوساط المختلفة.

فكتاب: (حقائق حول التشيع) نتيجة تلك النشاطات التي تلقي الضوء على تلك المواضيع المهمة التي تخص التشيع - وقد أعدّه وترجمه الى الفارسية سماحة آية الله الدكتور السيد جمال الدين الموسوي(دام عزه) حينذاك والآن نعيد طبعه بالعربية - وقد تفضل الأستاذ بايراده في ثلاث جلسات :
الجلسة الأولى: تحت عنوان ضرورة تدوين دائرة المعارف الإسلامية الشيعية وبدأ فيها باظهار عواطفه الى الإيرانيين وبيان دورهم في نشر التشيع والدفاع عن حريمه.
الجلسة الثانية: تطرّق فيها الى دور العرب في نشر التشيع.
الجلسة الثالثة: بادر الأستاذ الى تبين الخيانات التاريخية التي أحجم الشيعة عن أداء دورها في المجتمع الإسلامي والبشري وإلقاء الضوء على بعض البطولات الوهمية للمدعين الخونة.
وفي الختام نتمنى للقراء الأعزاء الاستفادة من آثار الأستاذ العلمية، وان يتغمّده الله برحمته ويحشره مع أجداده الطاهرين.

المعاونة الثقافية

للمجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)

83/8/14

20 رمضان/ 1425 هـ . ق

المحاضرة الأولى

دائرة المعارف الإسلامية الشيعية

بسم الله الرحمن الرحيم

إنني من على هذا المنبر أحيي إيران العظيمة الخالدة، إيران التي حملت لواء الإسلام خفاً طيلة القرون الطويلة، فأمدت العالم الإسلامي بالعلماء والمفكرين، والتي حافظت على التشيع، فكانت له الحمى الذي يحتمي فيه، وغدته بكل ما تملكه من إمكانيات.

وانني وأنا ابن جبل عامل في لبنان، أتذكر الآن هؤلاء العاملين أبناء جبل عامل، أولئك العلماء الذين استدعتهم إيران إليها قبل مئات السنين، وعهدت إليهم باسمي المناصب الدينية والعلمية، وكرمتهم وأعزتهم؛ فوفوا لها كل الوفاء، وبذلوا كل طاقاتهم في سبيل خدمتها ورفع شأنها.

إنني أتذكر المحقق الكركي وهو يعيش في إيران متعاوناً مع رجالها في نشر العلم، منطلقاً في خدمة إيران بكل ما وهبه الله من فكر وإخلاص.

وأتذكر الشيخ عبدالصمد، ابن جبل عامل الذي كرمته إيران، وتقانى هو في إعلاء شأنها وخدمة شعبها.

وأتذكر ولده الشيخ البهائي، وهو يعيش في إيران عالماً من علمائها، ومفكراً من مفكرها. وهل أدل على وفاء إيران لهذا الشيخ من أن شارعاً من أكبر شوارع اصفهان يحمل اسم الشيخ البهائي، وأن قبره في مشهد الرضا تحفة من التحف.

وأتذكر الحرّ العاملي صاحب الوسائل وقد جلس للتدريس في مشهد الرضا، واجتمع على درسه المئات يتلقون عنه العلم، وينشرونه في كل مكان.

إن كل مجلس في جبل عامل يُذكرني بإيران، فإذا جئت بلدة (مليس) تذكرت أولئك الذين خرجوا منها، ثم ربطوا مسيرهم بمسير إيران .

ويكفي أن أذكر منهم الشيخ لطف الله العاملي الذي كرمته إيران؛ فأقامت له في اصفهان مسجداً لا يزال من أبرز معالم اصفهان.

ولا يزال مسجد الشيخ لطف الله العاملي من أبرز معالم اصفهان وأكبر مظاهرها التي تستقبل السائحين وتبهج أنظار الناظرين .

وإذا جئت (جباغ) أو (الباذورية)، أو (أنصار)، أو (بني حيان)، أو جئت غيرها وغيرها، تذكرت أولئك العلماء الشعراء الذين توجهوا إلى إيران؛ فإخلصوا لها كل الإخلاص، واتخذوا منها وطناً ثانياً لهم، ولكنهم لم ينسوا وطنهم الأول.

وفي الوقت الذي كانوا يتدارسون العلم والفكر مع اخوانهم الإيرانيين، كانوا يحنون الى جبل عامل؛ فيعبرون عن هذا الحنين بنظم الشعر الذي يعد من أرق الشعر العربي. وهكذا كانت إيران مصدر إلهام لأولئك الشعراء الذين كانت تتنازعهم عاطفتان، عاطفة الارتباط بإيران؛ فيحيون أرضها وأهلها، وعاطفة الشوق الى جبل عامل؛ فيحيون أرضه وأهله. وهكذا ربطوا بين الوطنين بأوثق نظام وأثبت رابطة. وليتني استطيع ترجمة هذا الشعر لكم، إذاً لرأيتم لوناً من أجمل ألوان الشعر العالمي الذي لا شبيه له بين أشعار الأمم كلها. ولقد مات جلّ هؤلاء العلماء الشعراء في إيران، وضمّتهم أرضها، واحتواهم ترابها؛ فكّرمتهم إيران أحياءً وأمواتاً. وقد قدر لفريق منهم أن يعود الى بلاده، فإذا به يأخذه الحنين والشوق، ولكن هذه المرة الى إيران لا الى جبل عامل.

وأرادت إيران يوماً أن تستدعي الشيخ شمس الدين محمد بن المكي - المعروف في تاريخ التشيع بالشهيد الأوّل - ; وألحت عليه بالقدوم إليها، ولكنّه رأى على نفسه واجباً تجاه وطنه يستدعي البقاء فيه، إذ كان عدد العلماء في جبل عامل في ذلك الوقت قليلاً جداً ، فلم يجب الدعوة.

ومن المؤلم أن هذا العالم العظيم انتهت حياته بالقتل، إذ قتل في دمشق على التشيع وأحرق جسده. وجاء وقت جرى فيه تبادل العلماء بين إيران وجبل عامل، وكمثال على ذلك نذكر الشيخ عبدالله التستري، وناصر البويهبي الإيرانيين، اللذين حلا في جبل عامل. وإذا كان التستري قد عاد الى إيران، فإنّ البويهبي قد مات في جبل عامل ودفن هناك في بلدة (عيناط). فكما ضمّت أرضكم أجسادنا ، فقد ضمّت أرضنا أجسادكم.

فحينما نتطلع الى إيران، فإننا نتطلع الى اخواننا وأحبائنا فيها، الى أصدقائنا الحميمين. اتطلع إليكم أنتم والى أمثالكم في كل حي من أحياء طهران، وفي كل بلد من بلاد إيران، أحسنّ أنني مرتبط بكم باخوة ليست وليدة هذا اليوم، بل حصيلة قرون وقرون. منذ جنّت إيران لأوّل مرة، ثم رجعت منها، عدت مثقلاً بأزكى العواطف وأصدق المشاعر، وتركت فيها الكثير من الصداقات منذ ذلك الوقت، عند ذلك أدركت لماذا تغّى شعراؤنا بإيران؟ ولماذا ظلّ الذين نزلوها، ثم عادوا منها الى وطنهم يحنون إليها ويصفون أشواقهم وشعورهم بالشعر الرقيق.

ويعلم الله أنني ما نزلت إيران يوماً إلا وشعرت أنني بين أهلي واخواني، تجمعنا وحدة الشعور، ووحدة الهدف، ووحدة العاطفة.

إننا نشعر أن تقدم إيران هو تقدمنا، وأن خيرها هو خيرنا، وأن كل ما ينالها ينالنا. ومن المناظرات الطريفة التي جرت بين الإيرانيين وبين العاملين اللبنانيين على صفحات المجلات، تلك التي جرت بين كاتب عملي وآخر إيراني، على صفحات مجلة العرفان اللبنانية ; فقد أصدر الكاتب

العاملية مقالاً يذكر فيه أن التشيع في جبل عامل يعود الى عهد أبي ذر الغفاري حين نفاه عثمان الى دمشق، ثم نفاه معاوية الى بعض الجبال.

وأهل جبل عامل كلهم يعتقدون أن الفضل في تشيعهم يعود الى أبي ذر الغفاري حين نفي الى جبلهم. فاستنتج الكاتب العاملية بذلك أن يكون أهل جبل عامل أسبق الناس الى التشيع بعد أهل الحجاز. ولم يرض هذا القول الكاتب الإيراني؛ فأجابه بأن أسبق الناس الى التشيع كان الإيرانيون، واستدل على ذلك بأدلة عديدة. فهل هناك أجمل وأسمى من هذا التسابق على الفوز بالسبق إلى التشيع والاعتزاز به؟

وسواء كنتم أنتم أسبق الى التشيع أو كنا نحن أسبق إليه، فإننا يجب أن نتنافس اليوم في من سيسبق الآخر في النهوض بالتشيع. من الذي سيكون أكثر تمسكاً به ومحافظة عليه؟ من منا الذي سيستطيع أن يكشف الغبار المتراكم على التراث الشيعي العظيم، فيبرزه على حقيقته العظيمة. هذا هو ميزان تسابق اليوم، وإذا صح التنافس على السبق الى التشيع، وإذا صح أن يدعي كل منا أنه هو المنتشيع الأول، فإن ما لا يصح النقاش فيه - لأنه من المسلمات - هو أنكم، كنتم السابقين الى التشيع والمحافظة عليه.

أنتم الذين حفظتم كتبه ومشاهده ومدارسه وعلماءه.

والمطلوب منكم اليوم أن تواصلوا هذه الرسالة

بنفس الحماس، وبنفس القوة، لأن طريق التشيع هو طريق الإسلام السليم.

عندما انتقل علي(عليه السلام) الى الكوفة وأقام فيها، كانت الكوفة قريبة من حدود إيران؛ فأقبل الإيرانيون على أمير المؤمنين علي، ورأوا فيه نوعاً جديداً من الحكام لم يألوه من قبل؛ فكفوا على مجلسه، وتكاثروا فيه، فكان أمير المؤمنين يقربهم إليه ويحتفي بهم، فإذا برجال لا ترضيهم هذه العلاقة بين أمير المؤمنين وبين الإيرانيين، وإذا بهم ينزعجون من حفاوة أمير المؤمنين بالإيرانيين وعنايته بهم، فيخاطب أحدهم أمير المؤمنين قائلاً: لقد غلبنا عليك هؤلاء الإيرانيون؟!!

وعندما نعلم أن الذي واجه أمير المؤمنين هذه المواجهة، وخاطبه بهذا القول هو الأشعث بن قيس الكندي، وهو رجل لم يكن ممن تربوا على يدي علي، أو أخذوا بمبادئ علي، بل كان والياً للخلفاء السابقين، ثم كان أول الخارجين على أمير المؤمنين، المناوئين له عند ما نعلم ذلك، يزول عجبنا.

إنّ عمار بن يسار، ومالك الأستر، وقيس بن سعد بن عبادة، وحجر بن عدي الكندي وغيرهم من تلاميذ علي، الأخذين بمبادئه وتعاليمه، لم يستغربوا هذه المودة بين الإيرانيين وبين أمير المؤمنين، بل رأوا فيها أمراً طبيعياً.

فبقدر ما يخلص الإنسان، يكون مقدماً عند علي(عليه السلام)، مهما كان الشعب الذي ينتمي إليه، أو القبيلة التي ينتمي إليها، ولكن الأشعث وأمثاله يعترضون عليه كل الاعتراض.

بقي أن نعرف جواب أمير المؤمنين للأشعث؟

إنه جواب يعينكم أنتم الإيرانيين أكثر مما يعني غيركم..

إنه جواب يحقّ لكل إيراني أن يكتبه على صفحات قلبه، ويضعه نصب عينيه، وأن يجعله قانون حياته وبرنامجه دنياه.

ردّ أمير المؤمنين على الأشعث قائلاً: «إنّ هؤلاء الإيرانيين سيضربونكم على الاحتفاظ بهذا الدين كما ضربتموهم على الدخول فيه».

هكذا كان رأي أمير المؤمنين في الإيرانيين، وهكذا تنبأ لهم، وهذا ما اعتقده فيهم.

فمنذ ألف وأربعمائة سنة عهد إليكم أمير المؤمنين بأن تحفظوا هذا الدين.

وقد حفظتم أيها الإيرانيون الأمانة الذي أودعكم إياها عليّ بن أبي طالب، فكنتم خلال تاريخكم الطويل، رجال الإسلام وحماة التشيع. كنتم الملاذ الذي لاذ به التشيع فاحتضنتموه ونازلتم دونه.

في الساعة الأولى التي مات فيها النبي (صلى الله عليه وآله) ، وقف ممثلكم في الدعوة الإسلامية (سلمان الفارسي) في صفّ عليّ، بنفس الحماسة التي وقف بها في صف محمد (صلى الله عليه وآله) . لم يكن صدفة أن يقف ممثل افريقيا السوداء (بلال الحبشي) وممثل آسيا (سلمان الفارسي) مع من وقفوا في صفّ عليّ بعد وفاة محمد (صلى الله عليه وآله). الإسلام الذي يرتفع فوق العصبية الإقليمية والعصبية القومية، الإسلام الذي يساوي بين جميع الشعوب، كان ممثله عليّ بن أبي طالب وحده، فلا عجب أن ينضم بلال الحبشي وسلمان الفارسي الى عليّ بن أبي طالب، وبطالبان مع المطالبين بخلافة علي بعد وفاة النبي، وتنفيذ إرادة النبي (صلى الله عليه وآله) .

لقد كانا يعلمان بأنّ تنفيذ إرادة النبي (صلى الله عليه وآله) بأن يتولى الخلافة بعده مباشرة عليّ ابن أبي طالب، إنقاذاً للشعوب مما عانته بعد ذلك من ظلم.

وحفظاً لخط سير الإسلام في طريق العدالة الاجتماعية.

أيها الإيرانيون ، لقد سمعتم ما قاله عنكم عليّ بن أبي طالب؟

وسمعتم كيف كان أمله فيكم كبيراً؟

ولا أحسب أن فيكم من سيخيّب ظنّ أمير المؤمنين بإيران والإيرانيين؟

ومن يمكن أن يضعف ولاءه لعليّ، والتمسك بهذا الولاء.

إنّني أحس وأنا بينكم، كأنتني بين جنود محمد (صلى الله عليه وآله) في بدر، ورجال عليّ في صفين، وأنصار الحسين (عليه السلام) في كربلاء.

إنّني أؤمن بالتشيع إيماناً عظيماً، وأؤكد لكم بأنّ هذا الإيمان عن تقليد، ولا لأنني نشأت في بيت شيعي، فقد جاء وقت حررت فكري كل التحرير، ورحت أبحث عن الحقيقة؛ فوجدتها في عليّ بن أبي طالب وفاطمة الزهراء. ووجدتها في التشيع. ومن هنا وقفت حياتي كلها في سبيل التشيع، والدفاع عنه، وحمايته من الظالمين.

من هنا كانت فكرة قيامي باخراج دائرة المعارف الشيعية. وانني أريد هنا أن أقرر أن أول دائرة معارف شيعية خرجت الى الدنيا، كانت تلك التي أخرجها والدي باسم أعيان الشيعة. ولكن والدي خصّ ناحية واحدة من نواحي التشيع، هي الشخصيات الشيعية التي مرّت عبر التاريخ من صدر الإسلام حتى اليوم.

إنّ كلّ ما ألقه الشيعة في الماضي حول هذا الموضوع، كان محصوراً فيما يسمّى بعلم الرجال، أي دراسة الرجال من ناحية وثافتهم، ومقدار صحّة ما ينقلونه من الحديث.

ولكن والدي تعدى هذا الموضوع، ودرس رجال الشيعة دراسة عامة، سواء منهم الملوك، أو الأمراء، أو الوزراء، أو العلماء، أو الشعراء، أو الأدباء، فكان ذلك فتحاً جديداً في عالم التأليف العالمي، وأصبح كتاب أعيان الشيعة مرجعاً عالمياً تقتنيه كلّ الجامعات العالمية في الغرب والشرق.

وقد وجدت أن أعيان الشيعة وحده لا يكفي لتسجيل التاريخ الشيعي، والحقائق عن الشيعة، كما لاحظت أن أعيان الشيعة مكتوب باللغة العربية وحدها، وأن ما يكتب عن التشيع باللغات الأجنبية مملوء بالغلط والتهجم والظلم، وأنه لا بد لنا من إيصال صوت التشيع الى بعض الناطقين باللغات الأجنبية.

صمّمت أولاً على كتابة دائرة المعارف الشيعية، على أن تصدر باللغة الانجليزية أولاً، ثم باللغة العربية، على أن تكون أحدث ما صدر من دوائر المعارف العالمية. ولا أخفي عليكم أن هذه الفكرة كانت نوعاً من أحلام اليقظة ولكي تعرفوا أنها كانت من الأحلام، أو من باب التفكير بالمستحيل فإن عليكم أن تفكروا بالقوى التي تخرج دائرة المعارف البريطانية مثلاً، أو غيرها من دوائر المعارف العالمية، ثم تقارنوها بقوة فرد واحد لا يملك مالاً ولا رجالاً.

ومما زاد في تصميمي على اخراج دائرة المعارف الشيعية باللغتين الانجليزية والعربية، وجود دائرة المعارف الإسلامية التي أصدرها فريق من المستشرقين باللغات الألمانية، والانجليزية، والفرنسية. وقبل الحرب العالمية الثانية ترجمت الى اللغة العربية، ولم تتم ترجمتها كلها، وعندما رجعت الى الترجمة العربية، وجدت فيها من الفضائح ما يثير حفيظة الإنسان المنصف.

لقد كان فيها من الأغلاط والظلم ما يعم المسلمين جميعاً، وما يخصّ الشيعة بالنصيب الأكبر. ولما ترجمت الى اللغة العربية، نشر المترجمون الأصل، ولكنهم علقوا على ما يتعلق بغير الشيعة فقط، وأشاروا الى تلك الأغلاط.

وأما ما يتعلق بالشيعة فقد بقي كما هو. بقي باللغة الألمانية والانجليزية والفرنسية ثم زيد عليه باللغة العربية.

وانني أنقل إليكم بعض ما قرأته في القسم المترجم باللغة العربية، لتعلموا مقدار الظلم الذي لحق بالشيعة عموماً، ولحقكم أنتم الإيرانيين بصورة خاصة، فقد جاء في الصفحة (430) من المجلد الأول تحت بحث: (الاثني عشرية) ما يأتي - بعد تعداد الأئمة - : «ولمذهب الاثني عشرية أهمية كبرى عند الفرس، فقد نظروا الى هؤلاء الأئمة كما نظر النصارى الى الأقباط الثلاثة».

هذا ما قالته دائرة المعارف الإسلامية منشوراً باللغات الألمانية والفرنسية والانجليزية; ومترجماً الى اللغة العربية. أي أن الشيعة ولا سيّما الإيرانيون يعتقدون في الأئمة بمثل ما يعتقد النصارى في الأب والابن وروح القدس، والأب والابن وروح القدس عند النصارى ثلاثة آلهة يجتمعون في إله واحد. ومن المؤسف إنّ الذين ترجموا هذا القول الى اللغة العربية، لم يعلقوا عليه شيئاً أبداً. ثم تزيد دائرة المعارف الإسلامية على ذلك فتقول:

«إنّ الإيرانيين يصلون لا للإله الواحد، بل للآلهة الاثني عشر، وأن لكل واحد منهم صلاة خاصة به» .

ثم تزيد دائرة المعارف الإسلامية على ذلك القول:

«إن يوم الأحد مقدّس عن الإيرانيين لأجل عليّ وفاطمة، والساعة الثانية من كل يوم مقدسة لأجل الحسن، والساعة الثالثة مقدسة لأجل الحسين، والساعة الرابعة مقدسة لأجل زين العابدين، وهكذا الى آخر الأئمة.

هذا ما نشر بأوسع لغات الأرض انتشاراً. هذا ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية. وإليك مثلاً ممّا جاء في دوائر المعارف العالمية الأخرى.

جاء في دائرة المعارف الأمريكية، وفي طبعتها الأخيرة التي صدرت في السنوات الأخيرة:

«انقسم المسلمون بعد موت محمّد الى فريقين: الأوّل وهو المسمّى بالشيعة، يضعون عليّاً على مستوى واحد مع محمّد».

وجاء في كتاب إنجليزي يعتبر من أكبر المصادر التاريخية الإنجليزية ما يأتي:

«إنّ عدد الشيعة في العالم هو خمسة عشر مليوناً وزعيمهم آغاخان» .

إضافة إلى ما كتبه المستشرق الألماني فلهوزن، وأعظم منه ما علّقه على كتابه الكاتب المصري الدكتور عبدالرحمن بدوي الذي قال:

«إن الشيعة يقولون إنّ روح القدس هو الله، وصارت في النبيّ، ثم في عليّ، ثم في الحسن، ثم في الحسين، الى آخر الأئمة الاثني عشر». ثم ينتهي فيهم روح القدس على التناسخ الواحد عقب الآخر .

وهكذا نرى أن ليس الأوروبيون والأمريكيون وحدهم الذين يظلمون الشيعة، بل أن المؤلفين المسلمين يفعلون كذلك. ولا أريد أن أذكر لكم ما كتبه أحمد أمين في كتابه: (فجر الإسلام) و(ضحى الإسلام) من الظلم، بل أنقل لكم عن كتاب آخر صدر منذ شهور باللغة العربية في مصر وهو (دائرة معارف الفقه الإسلامي) الذي أصدرته لجنة مختصة ومدعومة من هيئات عديدة لتعلموا مقدار جهل الناس - شرييين وغربيين - بالشيعة.

قالت دائرة معارف الفقه الإسلامي الصادرة هذا العام: «إنّ جعفر الصادق هو إمام الزيدية» وأن من يجهل مثل هذا الأمر البسيط كيف يمكن أن تكون معلوماته عن الشيعة في الأمور الأخرى. وما ذكرته لكم هو قطرة من بحر فيما يُكتب عن الشيعة في كل يوم. ولنا أن نتساءل: من هم المسؤولون عن ذلك؟!!

ونجيب ، بأننا نحن الذين لم ننصرف الى دراسة تاريخنا دراسة سليمة صحيحة، ثم نخرجه إخراجاً موضوعياً علمياً يتفق مع الأساليب الحديثة.

هل نلوم المستشرقين؟ وأين هي المصادر التي وضعناها في أيدي المستشرقين ليرجعوا إليها في دراساتهم؟ أين هي مؤلفاتنا الحديثة التي يستطيع أن يقرأها أستاذ الجامعة وتلميذ الجامعة؟ إذا كان لنا أن نلوم أحداً، فإننا يجب أن نلوم أنفسنا؛ وسوف أعطيكم دليلاً على ذلك :

منذ حوالي سنتين، وبعد صدور الجزء الأول من دائرة المعارف الشيعية باللغة الانجليزية. اتصل بي مدير المكتب الثقافي الألماني في بيروت وقال لي: إنّ ثلاثة مستشرقين ألمان يريدون أن يزوروني؛ فحددت لهم موعداً جاؤوا فيه الى بيتي، فإذا هم شبّان ثلاثة، يحمل كل منهم شهادة الدكتوراه في اختصاصه ويجيدون اللغة العربية. فتكلّم واحد منهم باسمهم قائلاً: نحن نريد التخصص في الدراسات الإسلامية، وكنا نعتقد أن الخوارج والشيعية أصحاب بدع سخيفة ليس فيها ما يستحقّ الدرس، لذلك كنّا عازمين على الذهاب الى مصر للاتصال بالأزهر، ولكن أجدنا رأى في مدينة (هامبورك) الجزء الأول من دائرة المعارف الشيعية باللغة الانجليزية، فلما قرأه اتصل برفاقه وقال لهم:

لقد اكتشفت شيئاً عظيماً كشف عن أن التشييع هو الذي يستحق الدرس ويستحق أن نتخصص فيه؛ لذلك عدلنا عن الذهاب الى الأزهر، وجئنا لنتصل بك أنت باعتبارك صاحب دائرة المعارف الشيعية؛ لنتفق معك على المواضيع، ولتحدد لنا المصادر.

وبالفعل فقد مكثوا في بيروت عدة شهور، كانوا فيها معي على اتصال يومي.

إنّ ضرورة عرض الحقائق عرضاً سليماً صحيحاً، وتسهيل وصولها الى أيدي المثقفين والباحثين، والكشف عن تلك الثروة العلمية العظيمة التي خلفها التشييع، وضرورة دفع الظلم عن الشيعة وتاريخهم وماضيهم وحاضرهم، يستدعي العمل على كشف الحقائق عن الشيعة.

إنّ ذلك بعض ما حملني على الانصراف منذ عشرين سنة الى العمل على اخراج دائرة المعارف الشيعية. ولما أصبح قسم من الدراسات جاهزاً. وعزمت على اخراجها الى حيّز الوجود، وعندما فكرت بترجمتها الى اللغة الانجليزية، ومن ثم طبعها، كنت فعلاً كمن يعيش أحلام اليقظة.

فدوائر المعارف العالمية، إنّما تعدّها وتخرجها دول، وبكفي أنه كان وراء دائرة المعارف الإسلامية دول كإنجلترا وفرنسا وألمانيا؛ فماذا يستطيع فرد واحد لا يملك مالاً ولا سلطة...؟ ذلك كان حلماً من أحلام اليقظة التي يعيشها الخياليون المغرّقون في التخيل.

وإذا كنت أكره أن يتحدث الإنسان عن نفسه؛ فاسمحو لي في هذه الساعة أن أتحدث عن نفسي للمرة الأولى والأخيرة. لست أملك مالاً ولا سلطة، ولكن كنت أملك ثلاثة أشياء: إرادة وتصميم، وإيمان بالتشييع لا حدّ له، والى جانب هذا كنت أملك ثقة الناس. وهكذا خرج الجزء الأول من دائرة المعارف الإسلامية الشيعية باللغة الانجليزية على أحدث ما يمكن أن تخرج به دوائر المعارف العالمية، محتويّاً على الخرائط

والصور. خرج جزءان، الثاني والثالث، ثم خرج مجلد مستقل باسم مختصر هو (دائرة المعارف الشيعية) .

أما الطريقة التي اتبعتها ، ففي الأجزاء الأولى منها مخالفة لما تتبعه دوائر المعارف العالمية. ذلك أن دوائر المعارف العالمية تبدأ من الجزء الأول أبحاثها على حسب الحروف. أما أنا فخالفت هذا الأمر وبدأت الجزء الأول بدراسات عامة عن الشيعة، ثم باعطاء صورة عن الدول الشيعية في التاريخ، وما أدته للإسلام وللحضارة الإنسانية. ثم قمت بعرض عام للثقافة الشيعية، من صدر الإسلام حتى هذا العصر .

ثم دراسة سيرة النبي(صلى الله عليه وآله) دراسة حديثة، والانتقال منها الى دراسة الإسلام. وقبل أن ينتهي هذا البحث، يكون قد انتهى الجزء الأول.

ويبدأ الجزء الثاني باكمال دراسة الإسلام، ثم تبدأ سيرة عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) . وينتهي الجزء الثاني قبل أن تنتهي سيرة عليّ(عليه السلام) .

وفي الجزء الثالث - وهو آخر الأجزاء المطبوعة - تنتهي سيرة أمير المؤمنين. وفي الجزء الرابع الذي سأبشر بطبعه قريباً، دراسة موسّعة عن التشيع. وفي الجزء الخامس تأتي سيرة الزهراء وبقية الأئمة(عليهم السلام) . وكل ذلك مكتوب بأقلام فريق من المفكرين وكبار المثقفين.

وفي الجزء السادس، تبدأ الأبحاث مرتبة حسب الحروف، وحيث إنه يمكن أن يوجد من لا يستطيع اقتناء الأجزاء كلها، وكذلك فإن هناك بحثاً لا يمكن أن تدخل ضمن مواضيع جزء من هذه الأجزاء. وكذلك فإن هناك مواضيع - وإن وردت في هذه المجلدات - ولكن يهمنّا إبرازها، لذلك جمعنا كل ذلك في مجلد مستقل أسميناه مختصر دائرة المعارف الإسلامية الشيعية. وهذا كله باللغة الإنجليزية.

هذا عرض موجز لفكرة دائرة المعارف الشيعية، أقدمه لكم لكي تكون لكم فكرة عنها. أما المواضيع التي ستضمونها الأبحاث المرتبة حسب الحروف فهي التي ستكشف عن الكنوز الفكرية الشيعية العظيمة. تلك الكنوز الشيعية التي كانت أساس الحضارة الإسلامية العالمية، ثم حجبها عن الأنظار إما غفلة أصحابها، أو جهل الآخرين، أو عصبيتهم.

إنني أؤكد على الدور الذي كان لمفكري الشيعة في تطوير الفقه الإسلامي وتقديم العلوم الإسلامية. وإظهار حقيقة ما أدته الدول الإسلامية في حماية العالم الإسلامي ضد هجمات البيزنطيين والفرنسيين. وكيف كان الشيعة وحدهم المدافعين عن الإسلام في أحرج المواقف . وستبين ما فعله الشيعة يوم إنهار العالم الإسلامي كله أمام هجمات المغول إنهار العالم الإسلامي عسكرياً وفكرياً وعلمياً . فتقدم رجل واحد من إيران، فكان بطلاً ومنقذاً للعالم الإسلامي. أنقذه لا بالسيف، ولكن بالعلم والعقل والفكر وحسن التدبير. ألا وهو نصير الدين الطوسي، الذي لا يزال الدور الذي أدّاه في خدمة الإسلام والمسلمين مجهولاً في تفصيله ووقائعه.

وما دام البحث يجري في دائرة المعارف الإسلامية الشيعية في هذا كله، فإنّ من البديهي أن نقول، بأنه سيكون لإيران القسط الأوفر لبحوث سيكون أكثرها مفاجأة كبرى لجميع المثقفين، وسيعرفون منها حقيقة أولئك المجهولين الذين عملوا ليل نهار على رفع شأن الإسلام وخدمة العلم والفكر. إنني لا استطيع في هذه الصفحات الموجزة أن أعطيكم صورة ولو مصغرة عن هذا المجهود الثقافي الأول من نوعه، ولكنني أعدكم أنكم لن تخبوا حين يقدر لكم أن تقرءوا، وأنكم ستطلبون المزيد منه، كما طلب ذلك جميع الذين وصلهم واطلعوا عليه.

لقد كان التفكير بهذا المجهود حلاً من أحلام اليقظة كما قلت، ولكن الذي يعيش بينكم أنتم الإيرانيين، ويرى تمسكم واخلصكم، يؤمن بتحقيق الأحلام، ويستهن بالصعاب والمشاكل. لقد كانت الأصوات التي استجابت لي أصوات إيرانية أذكرها هنا من على هذا المنبر اعترافاً بفضلها واعلاناً بحقيقتها.

لقد كان من أكبر المشجعين لي، عدد من كبار العلماء؛ كآية الله السيد محمدرضا الكلبايگاني، وآخرين منهم حفظهم الله وأدامهم ذخراً للإسلام والمسلمين وقدوة للعلماء العاملين المخلصين.

وتألفت في اصفهان في رعاية آية الله السيد حسين الخادمي لجنة أطلقت على نفسها لجنة دائرة المعارف الشيعية الإيرانية، أدت لنا خدمات جليلة بقيادة العلامة العامل المخلص آية الله الخادمي.

وانني لأخص بالذكر أفرادها هنا في إيران، كان لتشجيعهم أكبر الأثر في صمودي في هذه المهمة الشاقة، وهم: المهندس الكبير المجاهد في سبيل الله، السيد محمد علي الشهرستاني، وابن عمه وشريكه في جهاده، السيد حسن الشهرستاني، ورجل التقى والإيمان، السيد صادق السبزواري.

كما أعلن أن معتمد دائرة المعارف الشيعية في كل شؤونها المالية والعلمية في إيران، هو صديقي وأخي الدكتور جمال الموسوي الذي يترجم لكم هذه المحاضرة.

وقد كنت أود أن أفصل لكم ما فعله لأجل دائرة المعارف، ولكنني أخشى أن لا يترجم قولي لذلك أكتفي بما قلت.

ولا أنسى ما أبدته الرجل الذي يعمل بصمت، الدكتور ناصر الميناجي من حماس واستجابة واستعداد للعمل.

نحن في شهر (رمضان الذي أنزل فيه القرآن)، والذي فيه ليلة القدر، كما وأنه الشهر الذي حدثت فيه وقعة بدر التي كانت فاتحة انتصارات الإسلام.

هذه الأحداث الثلاثة العظيمة التي تمثل صفحة ناصعة من صفحات الإسلام.. هذه الأحداث شاء الله أن تكون كلها في شهر رمضان، وشاء الله أن يربط أهداف الإسلام الكبرى بحادث إسلامي كبير آخر.

ولكن ينبغي الالتفات إلى أن الإسلام ليس كله انتصارات، وليس كله راحة، بل هو مرتبط بالكفاح الدائم والعمل المتصل، فطوراً نصر، وطوراً فاجعة.

وأن على المؤمنين أن يستقبلوا الفاجعة بمثل ما يستقبلون النصر بقلب جلد ونفس صابرة راضية.

في هذا الشهر (الذي أنزل فيه القرآن)، وكانت فيه ليلة القدر، وكانت فيه وقعة بدر، قتل بطل الإسلام عليّ بن أبي طالب! فيالإرادة الله الحكيمة التي ربطت نزول القرآن وليلة القدر وذكرى وقعة بدر بمقتل البطل الذي مثل الإسلام أعلى تمثيل! وهكذا تم التلاحم بين القرآن وأقدس ليلة وأعظم نصر للإيمان، وبين استشهاد عليّ بن أبي طالب.

فلا يذكر ذاكر القرآن وليلة القدر وشهر رمضان، إلا ويذكر معها علي بن أبي طالب . ونحن أيها السادة، نستمد من هذا الشهر المبارك وما يحتويه من معان وما ينطوي عليه من ذكريات قوة تسدد خطانا فيما ننوي تحقيقه من مهمات. وليس أفضل في الحديث عن دائرة المعارف الشيعية من أن يكون هذا الحديث في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، وكانت فيه ليلة القدر، وحدثت فيه معركة بدر، وقتل فيها رجل الإسلام الأوّل.

ليس أفضل في الحديث عن دائرة المعارف الشيعية، من أن يكون الحديث عنها في هذا الشهر الذي حدث فيه كل ذلك، ليكون القرآن هاديها، وليلة القدر ملهمتها، ومحمد(صلى الله عليه وآله) مثلها الأعلى، وعليّ قدوتها.

إنني حين أقوم بنشر دائرة المعارف الشيعية، فأبداً أفعل ذلك دفاعاً عن بطل الإسلام العظيم عليّ بن أبي طالب وطريقته في الحياة.

وماهي طريقة عليّ بن أبي طالب في الحياة؟

إنّ من سوء حظ الإسلام والمسلمين، أن عليّ بن أبي طالب لم يتول الخلافة بعد النبي مباشرة، ولم تنقذ إرادة النبي في ذلك.

وبهذا لم يستطع عليّ بن أبي طالب أن يطبّق طريقته في الحياة الإسلامية التي هي طريقة محمد وطريقة الإسلام.

ولكي يكون الأمر واضحاً أعطيكم مثلاً واحداً:

لقد أعلن الإسلام المساواة العامة بين المسلمين وجعل شعاره: «لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى». وبهذا الشعار جعل النبي(صلى الله عليه وآله) أحد العبيد السابقين قائداً عاماً لأكبر جيش إسلامي.

هذا العبد السابق هو زيد بن حارثة الذي كان تحت إمرته ابناءً كباراً لقريش، ثم جعل النبي بعد ذلك ابن ذلك العبد قائداً لجيش أعظم من جيش أبيه. كان ذلك الجيش تحت إمرة ابن عبد سابق، ذلك هو الشاب أسامة بن زيد، وجعل تحت إمرته كباراً قريش جميعاً.

كانت تحت إمرة أسامة بن زيد بن حارثة ابن العبد السابق، أبو بكر وعمر وعثمان وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبيوقاص وغيرهم من الكبراء. ولم يستثن النبي أحداً من أن يكون تحت إمرة أسامة بن زيد، إلا عليّ بن أبي طالب؛ لأنّ عليّاً لا يجوز أن يتأمّر عليه أحد، ولا يجوز أن يكون تحت رئاسة أحد. لأن النبي(صلى الله عليه وآله) كان يعدّه لمهمة أخرى. كان يعدّه لخلافته.

وخليفة النبي لا يجوز أن يكون مرؤوساً من أحد من الناس.

فماذا حدث بعد وفاة محمد(صلى الله عليه وآله)، وتولى أبوبكر الخلافة؟ لقد كان أول شيء فعله الخليفة، أنه عزل أسامة بن زيد وولى مكانه يزيد بن أبي سفيان. وهو غير يزيد بن معاوية، وإنما هو عمه. ابن الرجل الذي ظلّ يحارب محمّداً ويحارب الإسلام حتى آخر ساعة من حياته. وكان هذا أول انحراف عن جوهر الإسلام.

لقد ساوى الإسلام بين الناس، فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى .

وماذا فعل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب حينما تولى الخلافة؟

لقد قدّم المهاجرين على الأنصار، وفضّل المهاجرين من قريش على المهاجرين من غير قريش، وفضّل العرب على غيرهم، وفضّل من كان أحد أبويه غير عربي على الذي يكون أبواه كلاهما غير عربيين.

وكان هذا انحرافاً آخر أحدث في الإسلام شرخاً خطيراً جداً قلب المقاييس الإسلامية رأساً على عقب. أما عليّ بن أبي طالب فقد سمعتم كيف عامل الإيرانيين وكيف كان يمكن أن يعامل غيرهم من بقية الشعوب. أنه لم يميّز في الحقوق حتى أخاه عقيل على غيره. من أجل ذلك تمسك المتمسكون بعليّ بن أبي طالب، ولم يتخلوا عنه رغم تهديدهم بالقتل.

لقد طلب من حجر بن عدي الكندي هو وعشرة معه أن يقولوا كلمة واحدة فينجوا من القتل! لقد طلب منهم أن يتبرّءوا من عليّ(عليه السلام); فرفضوا ذلك; فقتلوا جميعاً. وقد كان معهم ابن حجر بن عدي; فطلب إليهم حجر أن يتركوا ولده فرفضوا ذلك. فطلب إليهم أن يقتلوا ولده قبله فقتلوه قبله، ولما تعجبوا من ذلك قال لهم حجر: لقد خفت أن يرى ولدي هول السيف على عنقي فيتبرّأ بعدي من علي.

ولما أقبل الحسين على كربلاء رفع صوته

بالتكبير قائلاً:

«إنا لله وإنا إليه راجعون»، وكان الى جانبه ولده الشاب علي الأكبر; فتعجّب عليّ من أن يسترجع أبوه في غير وقت الاسترجاع، فسأله عن ذلك، فقال الحسين(عليه السلام):

«لقد عنّ لي هاتف يهتف: إنّ القوم يسرون والمنايا تسري إليهم; فعلمت أنها أنفسنا نعتت إلينا».

الشاب الذي لم يتجاوز العشرين من عمره يقول له أبوه: إنّ الموت ينتظرهم جميعاً على الطريق،

فماذا كان جواب الشاب؟

أجاب متائلاً: «أولسنا على الحق؟ إذا لا نبالي أن نموت محقّين» .

هؤلاء هم أبطال التشيع، وهذا مقدار تمسّكهم بالتشيع. لأنهم فهموا التشيع على حقيقته.

فيا شباب إيران، إيران العظيمة الخالدة، إليكم قبل غيركم أتوجه بالخطاب، حاولوا أن تفهموا التشيع على حقيقته. لا تظلموا التشيع. كونوا دائماً أنصار عليّ بن أبي طالب الذي أحبكم من قبل; فأحبّه أباًوكم وأجدادكم.

أحبّوه واخلصوا له.

فأحبّوه أنتم وأورثوا حبّه أبنائكم وأحفادكم.
اننا نتطلع بقلوبنا الى إيران أينما كنّا، نتطلع إليها دائماً...
إنّ إيران هي وطننا الروحي الذي نخلص له كلا الاخلاص.
فيا أيها الإيرانيون..
تذكروا دائماً ما قاله فيكم علي بن أبي طالب..
فخذوا القرآن بيمينكم ونهج البلاغة بيساركم...
نبيكم محمد(صلى الله عليه وآله) ، وإمامكم علي الى الأبد...

والسلام

المحاضرة الثانية

الشيعة بين العرب

بسم الله الرحمن الرحيم

بالرغم من أن التشيع ولد في العرب، ونشأ أول ما نشأ في بلادهم، فقد شاء الله أن لا ينفرد به العرب وحدهم.

فمنذ اليوم الذي التفّ العرب حول أمير المؤمنين، ليحافظوا على جوهر الإسلام ويحموه من انحراف المنحرفين؛ كان الى جانب أولئك الرجال العرب بطل من أبطال الفرس هو سلمان الفارسي. وهكذا شاء الله أن لا يخطو التشيع خطوته الأولى إلا بمشاركة الفرس، وأن يتابع بعد ذلك مسيرته في رعايتهم وحمائيتهم. ولعلّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) عندما أعلن كلمته العظمى قائلاً: «سلمان منا أهل البيت» كان يشير فيها الى الدور الخطير الذي يقوم به سلمان الفارسي، ومن ثم قومه، في الانتصار لأهل البيت(عليهم السلام) .

في الماضي استطاع شيعة العرب أن يقيموا دولة شيعية في شمال أفريقيا، وذلك أن إدريس بن عبدالله بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب(عليه السلام)استطاع النجاة من مجزرة فح في الحجاز، وظلّ فاراً من بلد الى بلد، حتى استطاع الوصول الى أفريقيا الشمالية. حيث استطاع الاستقلال بقسم منها يشمل ما عرف اليوم باسم المغرب، كما يشمل قسماً من الجزائر، وأقام دولة شيعية لأول مرة في التاريخ. وذلك سنة مائة واثنين وسبعين للهجرة.

وقصة فرار إدريس من الحجاز حتى وصوله الى أفريقيا الشمالية مع رفيقه راشد، قصة جديرة بالتأمل، وهي تدل على العطف الذي كان يكتفه الشعب لزعماء الشيعة وقادتهم، وانه حين كان يستطيع هذا الشعب التعبير عن رأيه، كان لا يتردد في الوقوف الى جانب رجال الشيعة، وأكثر من ذلك؛ فإنّ الخطة التي كان يسير عليها الأئمة(عليهم السلام)- ولا سيما في عهد الإمام الصادق(عليه السلام) - وهي تربية الرجال الأكفاء، وإعدادهم الإعداد الصحيح، واطلاقهم في الحياة العامة، حيث يتولون أحياناً أرفع المناصب الدولية؛ فيكون منهم ملجأً للمظلومين، وحماية للمسلمين .

إنّ خطة الأئمة هذه قد أدت خيراً كثيراً للأمة. ومن هنا استطاع أن أقول لكم أنّ أئمة الشيعة لم يُدرّسوا حتى اليوم كما يجب أن يدرّسوا، وأنّ الدور الذي قام الأئمة به في إنقاذ الأمة الإسلامية في مسيرتها الكبرى لا يزال مجهولاً حتى عند الشيعة أنفسهم.

إنّ الفضل في نجاة إدريس ووصوله سالماً الى أفريقيا، يعود الى عطف الشعب على الحركات الشيعية، والى أولئك الرجال الذين ربّاهم الأئمة وأطلقوهم في الحياة العامة، فإنّ إدريس حين وصل الى مصر انكشف أمره فيها، وهنا يختلف المؤرخون، فبعضهم يقول أنه كشف أمره لبعض رجال الدولة

بنفسه، وبعضهم يقول أن بعض رجال الدولة هم الذين كشفوا أمره. وأيّ كان من القولين صحيحاً فإنّ المهم أن رجال الدولة هؤلاء هم الذين نظموا أمر خروج إدريس ورفيقه راشد من مصر ووصولهما الى شمال افريقيا.

وصل الى مدينة «بليلة» في شمال أفريقيا المعروفة اليوم بالمغرب، وهناك حين صار إدريس بعيداً، في طرف البلاد الإسلامية بحيث يصعب على الدولة مطاردته... هناك أعلن نفسه.

ولا يستطيع الإنسان إلا أن يندهش من الترحيب العظيم الذي تلقاه من الشعب وزعمائه هناك. هذا الضيف الشيعي الهارب إليهم من أقصى الشرق.

لقد استجابوا له والتفوا حوله وأقبلت عليه القبائل؛ فأعلن قيام الدولة الإدريسية، أو بالأحرى قيام أول دولة شيعية في الإسلام.

إنّ الترحيب الذي لقيه إدريس والنجاح السريع الذي أحرزه يدل دلالة واضحة على تعاطف الشعب مع زعماء الشيعة، وعلى ما كان لهم في قلوب الناس من حب مكنون واحترام مكتوب. ولا يستطيع أن أفصل لكم بهذا الوقت الضيق، تفاصيل إنجازات الدولة الإدريسية في شمال أفريقيا، ولكنني اختصرها لكم بأن أقول:

لم يستطيع الأمويون والحكام العباسيين - الذين كانوا أبعد الناس عن حقيقة الإسلام وجوهره - أن يكسبوا قلوب سكان البلاد فالذين أسلموا من الأفريقيين ظلوا في ثورات دائمة على الحكم الظالم.

ولكن لم يكد يصل إدريس سبط محمد وحفيد عليّ والممثل لهما أصدق تمثيل الى الأفريقيين ويحكم حكماً إسلامياً صحيحاً، حتى أقبلوا على الإسلام وكانوا حماته وجنوده وأبطاله المدافعين عنه. فأهم إنجازات الدولة الإدريسية هو تعميم الإسلام في شمال أفريقيا، وما أعقبها من النهضة العلمية الأدبية الفكرية التي صارت قاعدتها مدينة «فاس» عاصمة الأدارسة، ثم انتشرت في كلّ مكان.

وهنا أريد أن أقرر حقيقة من حقايق التاريخ، يتجاهلها المؤرخون إما عمداً وإما سهواً هذه الحقيقة هي أنّه كان يرافق الحكم الشيعي في جميع الدول الشيعية التي قامت في التاريخ، شيئان عظيمان تفتقدهما كلّ الدول غير الشيعية، ألا وهما: إطلاق حرية العقيدة للناس، ثمّ تبني العلم والفكر والشعر والأدب.

فالنهضات العلمية الفكرية الأدبية قامت في ظلال الحكم الشيعي على عهود الأدارسة والفاطميين والحمدانيين والبويهيين والمرداسيين والزيديين وبنو عمّار، مما لا مجال إلى تفصيله الآن، ومما سنذكر القليل منه في ما يأتي خلال هذه المحاضرة.

ومن نفس هؤلاء الأدارسة خرج الشريف الإدريسي، وهو صاحب كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق).

وهو صاحب أقدم خريطة في العالم والتي كان كتاب نزهة المشتاق شرحاً لها، ويوسفني ألا أستطيع أن أذكر لكم في هذا الوقت الضيق عن الشريف الإدريسي خاصة وعن الأدارسة عامة أكثر من هذا،

فالشريف الإدريسي وحده يحتاج الى أكثر من محاضرة، على أننا لكي نكون أميين كلّ الأمانة في تسجيل التاريخ يجب أن نقول:

إنّ الدولة الإدريسية لم تكن دولة عربية خالصة. لقد كانت مزيجاً من العرب والبربر، إذ أنّ العنصر البربري في المغرب يشكل جزءاً كبيراً من سكان المغرب.

ولقد كان البربر في أوّل الأمر هم عماد الدولة الإدريسية، ولكننا نستطيع القول بأنّ الدولة الإدريسية عربية بقياداتها أوّلاً، ثمّ بالعرب المشاركين مع البربر في المغرب، ثمّ بجموع العرب الذين نزحوا إليها من الأندلس التي كانت تخضع للحكم الأموي، وهؤلاء العرب الأندلسيون الذين يذكر المؤرخون أنه نزح منهم من مدينة قرطبة وحدها الى مدينة واحدة هي فاس ثمانية آلاف بيت.

وهذا يدلنا على نزوح الناس وفرارهم من الحكم الأموي في الأندلس ولجوئهم الى الحكم العربي الشيعي.

والدولة الشيعية العربية الثانية، كانت دولة الفاطميين، وهذه الدولة ليست أعظم دولة شيعية فحسب، بل هي أعظم دولة إسلامية، اذا كان مقياس العظمة هو تبني الثقافة والعلم وتعميمهما في كلّ مكان، وتبني قضايا الفكر، وتشجيع العلماء والمفكرين والشعراء والأدباء وتفرغهم للبحث والكتابة، والتشويق بإهداء الأموال إليهم وعده اشغالاً بشؤون الحياة.

وإذا كان مقياس العظمة كذلك بعدم الضغط على المذاهب والأديان ومناقشتهم بالتالي هي أحسن، فان الدولة الفاطمية هي أعظم دولة شهدها العالم الإسلامي في تاريخه، بل هي الدولة الوحيدة في هذا المقياس.

ويؤسفني أنّ ضيق الوقت لا يسمح لي بذكر كلّ ما أريد قوله عن هذه الدولة.

إنّ شخصية رجل واحد من رجال هذه الدولة، كشخصية المعز لدين الله تحتاج الى عدة محاضرات، وكلّ ما أستطيع قوله، هو إبراز بعض ملامح هذه الدولة.

كانت الدولة الفاطمية أوّل دولة في العالم الإسلامي تتبنى العلم، بمعنى إن كانت تخطط لنشر العلم وتضع المناهج لذلك، وتنفق على نشره من خزينتها. ونستطيع أن نقول بلغة العصر الحاضر، إن الفاطميين خططوا لسياسة تعليمية شاملة تركز على إنشاء جامعة كبرى، ثمّ تفرغ العلماء للعلم وحده فلا ينشغلوا بكسب العيش، للانصراف عن العلم، ولايلهم الفقر عن التوسع في البحث والدرس. فجعل الفاطميون للعلماء موارد رزق تضمن لهم العيش الكريم.

قبل قيام الدولة الفاطمية لم يكن للدول شأن في العلم. والذين نبغوا من العلماء إنّما نبغوا بجهودهم الشخصية وحدها.

أقول هذا ولا استثنى دولة من الدول الإسلامية.

بعد وفاة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وقيام دولة الخلفاء كان الشخص الوحيد الذي تصدى للعلم هو عليّ بن أبي طالب؛ فاقام من بيته ومن المسجد، المدرسة الأولى في الإسلام.

ولم نسمع أبداً أن أحداً ممن كانت بيدهم السلطة والمال فكر في شؤون العلم ووسائله. ويمكن أن نعتبر أنّ عبدالله بن عباس من أعظم خريجي مدرسة عليّ بن أبي طالب. أما الدولة الأموية فلم يكف أنها لم تفكر في العلم، بل فكرت باضطهاد العلماء والتشديد عليهم وترويعهم، والذين حفظوا العلم وتبنوه ونقلوه من جيل إلى جيل هم أئمة الشيعة. وإنّ من المؤسف أن كلّ ما تعرفه أجيالنا عن عليّ بن الحسين زين العابدين مثلاً هو أشياء سطحية وقضايا أسطورية.

إنّ زين العابدين هو المؤسس الثاني للمدرسة في الإسلام بعد جده عليّ بن أبي طالب المؤسس الأوّل. إنّ لزين العابدين وحده يعود الفضل في تكوين الفكر الإسلامي وإعداد العلماء، ولو لا زين العابدين لاستطاع الأمويون أن يمضوا في تجهيل الأمة إلى أبعد الحدود، والحضارة الإسلامية مديونة بوجودها إلى زين العابدين عليّ بن الحسين، وليس الآن مكان تفصيل ذلك.

كانت الدولة الفاطمية أوّل دولة في الإسلام تتبنى العلم وتخطط له وتحفظ العلماء، لقد أنشأ الفاطميون الجامعة قبل القصر، وهكذا كان الأزهر، الجامعة الإسلامية الأولى التي تقيمها الدولة نفسها. وليس المهم إنشاء جامعة الأزهر فقط، ولكن المهم الأسلوب الذي جرى فيه التدريس في الأزهر! الدولة شيعية وجامعتها جامعة شيعية، ولكن الفاطميين أباحوا لأوّل مرة وآخر مرة في تاريخ الإسلام لأصحاب المذاهب الإسلامية كلها أن يلقوا دروسهم في الأزهر، كلّ على حسب مذهبه.

فخصصوا لكل مذهب مدرساً لتدريس ذلك المذهب، وقد كان عدد الطلاب يتفق مع انتشار ذلك المذهب، مع انتشاره في مصر والبلاد القريبة منها.

وقد عرفنا من عدد الحلقات التي كان ينضم إليها الطلاب، مقدار انتشار كلّ مذهب من تلك المذاهب، فقد كان عدد حلقات المالكية خمس عشرة حلقة، ومثلها عدد حلقات الشافعية. وعدد حلقات الحنفية ثلاث. هذا يحدث لأوّل مرة في التاريخ الإسلامي وكذلك لآخر مرة، فبعد القضاء على الدولة الفاطمية، قضى على الحرية المذهبية قضاء تاماً. ومن أعظم ما فعله الفاطميون - وهو يحدث لأوّل مرة في العالم الإسلامي بل والعالم كله، ولم تعرفه الدول إلا في هذا العصر - هو استدعاء العلماء من الخارج.

لقد كان العلماء في البلاد الخارجة عن النفوذ الفاطمي يعانون من محنة الفقر، وكانت حياتهم مأساة مفاجئة؛ فأرسل الفاطميون لهم يستدعونهم إليهم ويضمنون لهم العيش الكريم.

وكمثال على ذلك نورد أسماء قليلة من كلّ عصر، فليس بالمستطاع الإلمام بأسماء الجميع، والذي يدعو إلى الإعجاب بالفاطميين، أن جميع العلماء الذين استدعواهم أو وفدوا إليهم فآكروهم ووفروا لهم إمكانية التفرغ للعلم، كانوا على غير مذهب الفاطميين. فمن تلك الأسماء، اسم عبدالسلام القزويني شيخ المعتزلة الذي وفد إلى مصر، فأقام فيها أربعين سنة يلقي تعاليم مذهبه.

ومنها اسم القاضي أبو الفضل محمد البغدادي، إمام الشافعية الذي وفد هو الآخر إلى مصر وأخذ يملي من مذهبه ما شاء الله أن يمليه، حتى مات سنة أربع مائة وأربعة عشر هجرية.

وكذلك أبو الفتح سلطان بن إبراهيم الفلسطيني الذي توفي سنة خمسمائة وثمانية عشر هجرية.
وأبو الحجاج يوسف المويورقي.

ومجلي بن جميع المخزومي.

والقاضي عليّ الموصلي.

وأبو محمد عبدالله السعدي.

وهؤلاء كلهم كانوا في عصور متفاوتة، وهؤلاء الأربعة كانوا ممن ولي القضاء للفاطميين، على أنهم كانوا شافعيي المذهب. ومن فقهاء المالكية استقبلت مصر الفاطمية أمثال محمد بن سليمان المعروف بأبي بكر النعال الذي كانت إليه الرحلة في مصر، وكانت حلقتة في الأزهر تدور على سبعة عشر عموداً.
وهناك قضية الفقيه المالكي عبدالوهاب بن عليّ، الذي وصفه الخطيب في تاريخ بغداد بأنه لم ير في المالكية أفقه منه. لقد ضاقت به دنيا الإسلام فكاد يموت من الجوع في بغداد، فلم يجد إلا مصر فلما جاءها تدفق عليه المال وأمره بالإنصراف إلى علمه وبحثه ولكن الأمر لم يطل به، فأصيب بالفالج فقال: لا إله إلا الله، عند ما عشنا متنا.

وعبد الجليل مخلوق الثقلي وأبو بكر الطرطوسي وغيرهم، وقد حرصنا على أن نختار عالماً واحداً من كلّ فترة تاريخية لنبين أنّ الأمر قد استمر ولم ينقطع، وغير الأسماء التي عدناها فان هنالك مئات الأسماء مما لا يمكن احصاؤها وتعدادها. وفضلاً عن ذلك، فقد انفرد الفاطميون بإنشاء دور الكتب الكبرى، وبلغت تلك الدور حداً عجباً، واجتمع فيها ما يثير اليوم دهشتنا، وبكفي أن مكتبة القصر مثلاً كانت تضم ستمائة ألف وألف كتاب.

هذه مكتبة القصر وحدها. ولتسهيل المطالعة على المراجعين كانوا يقتنون من أمهات الكتب الكبرى التي تكثر حاجة الناس إليها، كانوا يقتنون منها مئات النسخ، فقد كان يوجد من تاريخ الطبري وحده ألف ومئتا نسخة.

ولا ننسى أن هذا لم يكن في عصر الطباعة، بل في عصر كتابة الكتب باليد.

هذا الذي نتحدث عنه لم يوجد مثله في أيّة دولة من

الدول التي قامت في العالم الإسلامي اللهم إلا الدول الشيعية الأخرى التي لم تبلغ في اتساع الرقعة ما بلغته الدولة الفاطمية كدولة بني عمار، وهي ثالث دولة شيعية عربية. وقد قامت هذه الدولة على الساحل اللبناني السوري وشغلت رقعة ضيقة من الأرض فلم يكن لها عظمة الدولة الفاطمية وإمكاناتها.

ومع ذلك فإن مكتبة بني عمار في عاصمتهم طرابلس، احتوت على أكثر من مليون كتاب.

وقامت في طرابلس على عهد بني عمار نهضة علمية فكرية اجتذبت إليها العلماء وطلاب العلم من كلّ مكان حتى لقد جاؤاها من الأندلس، كالعالم الأندلسي أحمد بن محمد الطليلي الذي عهد إليه بنو عمار بالإشراف على مكتبتهم الكبرى وإدارتها وكان في هذه المكتبة مائة وثمانون رجلاً لا عمل لهم إلا نسخ الكتب وشراءها وجمعها فيها.

يقول أحد الباحثين:

لقد ازدهرت طرابلس في عهد الحسن بن عمار وأصبحت مركزاً للحياة الفكرية في سوريا كلها .
وقال باحث آخر: من هذه المكتبة انتشر العلم في أنحاء المدينة حتى قال المؤرخون أن طرابلس
صارت جميعها دار علم. وفي شمال سوريا قامت الدولة الحمدانية.

وبطل هذه الدولة هو سيف الدولة الحمداني الذي لا يعتبر بطلاً لهذه الدولة وحدها بل بطلاً من أعظم
أبطال العالم الإسلامي في كلِّ عصوره بل بطلاً عالمياً يقرن إلى أعظم من عرفوا في تاريخ الأمم كلها.
وإذا كنت لم أشر في حديثي عن الفاطميين وعن بني عمار إلى بطولات هاتين الدولتين في الميادين
العسكرية. الفاطميون في صراعهم مع البيزنطيين الذين حسبوا أن العالم الإسلامي قد تمزق وأنهم
يستطيعون استرجاع ما فقده واكتساح البلاد الإسلامية، وبنو عمار في حربهم مع الصليبيين، تلك
الحرب البطولية الخالدة. إذا كنت لم أشر إلى ذلك وأنا أتكلم عن هاتين الدولتين فلأنَّ الوقت لا يتسع لذلك،
ولكن لا بد لي هنا وأنا في مجال التحدث عن الدولة الحمدانية وعن سيف الدولة بالذات من إشارة سريعة
وان كانت لاتفي بالمراد فانها تذكر بعض التذكير .

لقد استطاعت الدولة الفاطمية أن تحمي العالم الإسلامي في أخرج ظروفه؛ فخاضت مع البيزنطيين
أروع المعارك وأشدها، واستطاعت أن تردهم على عقبهم وتخرج ظافرة، وقد أنشأ الفاطميون أسطولاً
لحماية العالم الإسلامي كان في عصره أعظم أسطول في البحر المتوسط، وقد وصفه أحد المؤرخين
قائلاً: بلغ عدد ربانة أسطول الفاطميين في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي خمسة آلاف ربان،
وعدد سفنه مائتي سفينة، واضطر الأوروبيون إلى الإبحار بمراكبهم إلى الجانب الشمالي الشرقي من البحر
المتوسط لا يبرحونه لأنَّ هذا البحر يسيطر عليه الأسطول الفاطمي من مضيق جبل طارق حتى بيروت .

أما بنو عمار فقد ظلوا يقاتلون الصليبيين ويدافعونهم عن طرابلس أعنف دفاع. لقد صمد فخر الملك
عمار بن محمد بن عمار خمس سنين للصليبيين يقاتلهم في البر والبحر دفاعاً عن الإسلام.
ولكن الجيوش الصليبية كانت تتدفق من أوروبا كالسيل، واستطاعت هذه الجيوش بعد خمس سنين من
الدفاع البطولي لبني عمار أن تصل إلى طرابلس.

أما الدولة الحمدانية فقد وجدت نفسها منذ الساعة التي وجدت فيها وجهاً لوجه مع البيزنطيين الذين
كانوا يحلمون باستعادة سيطرتهم على العالم الإسلامي. فوقف سيف الدولة يسدهم بجيشه القليل.
كان سيف الدولة يحكم القسم الشمالي من سوريا، وكانت عاصمته مدينة حلب، وعند ما تقارن بين
ضيق الرقعة التي كان يحكمها الحمدانيون وسعة الدنيا التي يحكمها البيزنطيون، وعند ما تقارن بين ما
كان يستطيع البيزنطيون أن يحشدوه من الجيوش، وبين ما كان سيف الدولة يستطيع أن يفعل مثله، عند ما
تقارن بين القوتين نجد الفارق عظيماً بينهما .

ولكن سيف الدولة استطاع بقواته القليلة أن يصد هجمات البيزنطيين الذين كانوا بزعامة فكتور فكاس،
وأن يردهم عن العالم الإسلامي. ولقد خاض معهم أربعين معركة، ووصلت طلائع جيشه إلى قلب
الانضول حتى كادت تصل إلى القسطنطينية.

لقد كانت معارك سيف الدولة أناشيد في فم الشعراء، فقد كان يروق له أن يصطحب معه الشعراء ليروا بعيونهم المعارك.

وقصائد المتنبي في وصف معارك سيف الدولة التي جاوزت ثمانين قصيدة ومقطوعة، هي من روائع الأدب العربي في تصوير معارك البطل الحمداني.

والى جانب هذا فقد كانت حلب عاصمة العلم والأدب والفكر والشعر. ولم يقصر سيف الدولة في الحرب عن أن يكون شيعياً أصيلاً في احتضان العلماء ورعاية المفكرين والعطف على الشعراء. لقد عاش في جواره مثل الفارابي وابن خالويه والمتنبي ومئات من أمثالهم.

وعندما أدرك الدولة الحمدانية الهرم وزالت من الوجود، قامت على أنقاضها دولة شيعية أخرى لم يكتب لها من الشهرة ما كتب للدولة الحمدانية، على أنها لاقتل عنها في الميدانين العسكري والفكري. تلك هي الدولة المرداسية.

وكما أن الله قد أعد الأدارسة لنشر الإسلام في شمال أفريقيا والفاطميين والحمدانيين وبنو عمار للقتال في سبيل الإسلام، فكذلك أعد بنو مرداس للقتال من أجل حماية العالم الإسلامي. وكما كان الشعراء يتغنون بمعارك الحمدانيين، كانوا هنا إلى جانب المرداسيين في معاركهم كلها، كما كان العلماء والمفكرون والمؤرخون .

وفي العراق قامت الدولة المزيدية، وإن لم تتوفر لهذه الدولة ظروف لخوض معارك عسكرية كالذول السابقة، فإنها لم تقصر عنها في الميدان الثقافي والفكري والأدبي.

ونستطيع أن نقول أنّ عاصمتها مدينة الحلة كانت في عهد مؤسسها صدقة المزدي مركزاً من أعظم مراكز العلم والفكر والأدب.

ومن أوّل وهلة فكر صدقة بإنشاء المكتبة الكبرى في عاصمته الجديدة، وكان له ما أراد. وقامت في الحلة مكتبة كانت مقصد العلماء من كلّ مكان.

ولابد هنا من الإشارة الى مذهب من مذاهب التشيع هو المذهب الزيدي الذي قامت له بين العرب وغير العرب أكثر من دولة. وهذا المذهب محصور اليوم في اليمن. وفي نفس الوقت الذي كانت تقوم فيه الدولة الزيدية في اليمن، كانت هناك دعوات زيدية هنا في إيران، في طبرستان والجل والديلم، وكذلك في جرجان واسترآباد وجمال ديلمان، واستطاع زيود إيران أن يؤسسوا أكثر من دولة زيدية إيرانية، وكان التواصل قائماً بين زيود إيران وزيود اليمن، فيتبادلون الوفود والكتب.

ومما يجب أن يذكر لأئمة الزيود في اليمن ما كانوا عليه من احترام للرأي وتقدير للعلم، وكدليل على ذلك نذكر أن الحسن بن أحمد الهمداني صاحب كتاب «إكليل»، سجنه آل يغفر فاعتقد أن ذلك كان برأي الناصر أحمد بن يحيى الهادي، فانتمم الهمداني لنفسه؛ فشن كتبه بالطنع لآعلى من يتهمه بسجنه فحسب، بل على أئمة الزيود وأتباعهم جميعاً.

ومع ذلك فإن أئمة الزيود احترموا هذه الكتب وما فيها من علم متغاضين عن نزوات الهمداني، متجاهلين أنفسهم وقومهم، فحفظوا تلك الكتب ولم يمدوا إليها يداً بسوء، فلم يوجد إلا في خزائهم، وكانوا قادرين على احراقها وإتلافها.

وحسبنا من ذلك كتاب «الدامغة» وشرحها الذي ألف للطعن فيهم والانتقام منهم.

ومع ذلك صانوه حتى وصل إلينا من مكنتباتهم وحدها. وكذلك فإن جميع البلاد الإسلامية أتلفت كتب المعتزلة فضاعت تلك الكتب ولم توجد إلا في الخزائن اليمنية.

وحين يقارن الإنسان بينهم وبين حكم صلاح الدين الأيوبي - مثلاً - الذي قضى على كل ما جمعه الفاطميون من المكتبات لا لشيء إلا لأنها كانت للفاطميين حتى ولو لم يؤلفوها أو أتباعهم، بل ألفها قوم لا صلة لهم بالفاطميين ومذهبهم، وكانت كتب علم وأدب وتاريخ - ولكن ذنبها أنها وجدت في خزائن الفاطميين - ، حين يقارن الإنسان بين هؤلاء وهؤلاء، يرى البون الشاسع.

ولاعجب في ذلك ما دام الزيود قد تشرّبوا المنهج الشيعي الذي يقضي باحترام الرأي والفكر.

هذه لمحة تاريخية عن التشيع عند العرب.

ولقد كنت أود أن يكون لديّ متسع من الوقت لكي أتوسع في البحث عن وضع التشيع عند العرب جميعاً، ولكنني سأجمل القول في ذلك، واخص التشيع في لبنان بأكثر مما يمكن من البحث.

يتواجد الشيعة اليوم في كل البلاد العربية الآتية بنسب مختلفة:

العراق، لبنان، الكويت، البحرين، مسقط وعمان، سوريا، القطيف والأحساء من البلاد السعودية، الحجاز، قطر، دبي وجميع بلدان الخليج . أما في اليمن فالشيعة هناك من الزيدية، وفيها عدد قليل من غيرهم.

وإذا خصصت الحديث عن الشيعة في لبنان فليس لأنّ لبنان هو البلد الذي أنتمي إليه، بل لأن الشيعة في لبنان كان لهم تأثير كبير في كلّ الأقطار الشيعية العربية وغير العربية.

وقد يختلف هذا التأثير قوة وضعفاً في قطر عن قطر آخر، ولكنه مهما اختلف فهو موجود في كلّ مكان.

وإذا استثنينا مدينة النجف الأشرف التي هي صاحبة التأثير الأساسي في الشيعة في العالم كله بما اخرجته من فطاحل المجتهدين في كلّ بلاد الشيعة؛ فقادوا الشعوب في طريق الخير والصلاح.

إذا استثنينا النجف، فأنه ما من قطر كان له بعد النجف من الأثر على التشيع كما كان للبنان، وعند ما نقول لبنان فإنما نعني به ناحية معينة عرفت باسم جبل عامل. لذلك فإنني سأترك الآن اسم لبنان وأذكر مكانة اسم جبل عامل وهو الذي يعرف اليوم باسم الجنوب، أو لبنان الجنوبي.

والشيعة في لبنان ليسوا موجودين في جبل عامل فقط بل هم موجودون في غيره أيضاً.

وأكبر مجموعة موجودة في غير جبل عامل هي تلك التي في بعلبك والهرمل، ولكن لم يكن لأي بقعة تضم شيعة في لبنان من الأثر مما كان لجبل عامل. ومن هنا سنستبدل اسم جبل عامل باسم لبنان.

يعتقد الشيعة في جبل عامل أن تشييعهم يعود الى عهد أبي ذر الغفاري، حين نفاه عثمان الى الشام، ثم نفاه معاوية الى جبل من الجبال. ويرى العامليون أن هذا الجبل كان جبل عامل، ويستدلون على ذلك بان في قرينين من قرى جبل عامل، في كل واحد منهما مسجد قديم يحمل اسم أبي ذر الغفاري، وبهذا يفاخرون بانهم أول من حمل التشيع بعد الحجاز كما ذكرنا سابقاً.

فما رأى التاريخ في هذا القول؟

إن من الثابت تاريخياً أنّ عثماناً نفى أبانر الى الشام، ومعاوية نفاه الى جبل من الجبال، ولكن كون أبانر هو المؤثر في تشيع أهل جبل عامل فهو شيء لا يمكن إثباته تاريخياً، لا سيما إذا علمنا ما مر على سوريا ولبنان - ومنه جبل عامل - من احداث بعد نفي أبي ذر.

هذه الحوادث كانت كافية للقضاء على التشيع كله إن صح وجود التشيع من ذلك الوقت.

وقد تعقبت هذا الموضوع في جميع المآخذ التاريخية حتى اقتنعت بأن تشيع جبل عامل يعود الى عهد الدولة الفاطمية التي كان جبل عامل يتبع حكمها، والتي عم التشيع في عهدها فلسطين وسوريا ولبنان، وإذا رجعتم

الى ما كتبه الرحالة الإيراني ناصر خسرو في كتاب

رحلته ترون الشيء الكثير عن تشيع الأقطار

المذكور.

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا زال التشيع من تلك البلاد وبقي في جبل عامل؟ وهذا ما استطعت بعد تتبعات كثيرة معرفة أسبابه، وهي أسباب يطول ذكرها ولا يتسع هذا الوقت لتعدادها، ويكفي أن نقول أن جبل عامل ظل محتفظاً بتشييعه بالرغم من جميع الزعازع التي تعاورته والنكبات التي حلت به. لم يحتفظ بالتشيع فحسب، بل احتفظ به على أعلى مستوى. ولاعطائكم صورة عما كان عليه التشيع في جبل عامل، يكفي أن أنقل لكم ما قاله صاحب كتاب أمل الأمل الذي عاش قبل حوالي ثلاثمائة سنة:

عدد علماء جبل عامل يقارب خمس عدد علماء الشيعة المتأخرين، وكذا مؤلفاتهم بالنسبة الى مؤلفات غيرهم، مع أن بلادهم بالنسبة الى بلاد غيرهم أقل من واحد بالمائة .

وبالرغم من أنه ليست لدينا مصادر تعين لنا كيف كان الأمر قبل صاحب أمل الأمل، وكيف كان بعده، فإن ما وصل إلينا من الآثار وما بلغنا من الأخبار يدل على أنه إذا لم تكن النسبة نفس النسبة، فهي على كل حال نسبة جيدة، ونستطيع أن نذكر للعاملين أن بعض ما أنتجوه كان شيعياً عالمياً بمعنى أن الشيعة في كل اقطارهم اعتمدوه وما زالوا يعتمدونه حتى اليوم، مثل الكتب الآتية:

كتاب المدارك للسيد جمال الدين، وكتاب المعالم للشيخ حسن زين الدين، وكتاب اللمعة للشهيد الأول محمد ابن المكي، وكتاب الوسائل للحر العاملي، وكتاب مفتاح الكرامة للسيد محمد جواد الأمين، وغيرها من الكتب.

وعلى الرغم من أن عدداً غير قليل من علماء الشيعة قد قتلوا على التشيع، فإن لقب الشهيد الأول ولقب الشهيد الثاني لم يظفر به إلا عاملان باجماع الشيعة كلهم، وبقي لقب الشهيد الثالث تتنازعه عدة أسماء غير عاملية.

إنّ أكثر ما ذكرته لم يتعلق بالتاريخ وأن ما يرتبط بالحاضر هو شيء قليل. وإذا كنت قد حرصت على ذلك، فليقيني من أنه لا بد من تسجيل هذه الصفحات التاريخية ولو تسجيلاً موجزاً حفظاً لها من الضياع.

وكما تحدثت لكم عن الماضي، فاني أرجو أن أوفق يوماً من الأيام لأتحدث لكم عن الحاضر، ثمّ عن آمالنا في المستقبل.

الأسئلة الواردة حول المحاضرة

س1 : ذكرتم أن الشيعة أسسوا الحكومات والدول في البلاد العربية، نسأل من جنابكم عن علة عدم معرفة العالم بهم اليوم؟ ولماذا بقوا أقلية في العالم اليوم، ولاسيما في البلاد العربية، وهل للشيعة دور مهم في الوقت الحاضر؟ وما هو هذا الدور؟ وهل حصل الشيعة على تقدم في مجالات الفكر والحضارة بالقياس الى سائر المذاهب الإسلامية في البلاد العربية خاصة وفي العالم الإسلامي عامة؟

وهل يوجد فيهم ميزة ثورية تميّزهم عن العالم الإسلامي؟ وكم يبلغ عددهم في المسلمين؟ أما عن القسم الأوّل من السؤال، وهو علة عدم معرفة العالم بهم، فشرحه يحتاج الى أحاديث وأحاديث، ولا يمكن الإجابة عنه ببعض كلمات.

أما حاضر الشيعة في البلاد العربية فيمكن تلخيصه كما قلنا بوجودهم في البلاد التي ذكرناها ولكن أوضاعهم العلمية والفكرية تختلف بين بلد وآخر. فهم مثلا في لبنان يتمتعون بنهضة فكرية جيدة إذا قورنت بغيرهم من الطوائف.

وكذلك هم في الكويت والبحرين أيضاً يتمتعون بمراكز اجتماعية جيدة جداً، أما في بقية البلاد، فالبلاد نفسها متأخرة، فتأخر الشيعة يتبع تأخر البلاد.

أما عدد الشيعة فنستطيع أن نجيب أولاً عن عدد الشيعة في العالم قبل كل شيء. لقد حاولت القيام باحصاء علمي أشبه بأن يكون دقيقاً؛ فتبين لي بعد كل بحث أن عدد الشيعة لا يمكن تحديده تحديداً كاملاً ، وذلك لأنّ عدد المسلمين كلهم لا يمكن تحديده تحديداً كاملاً.

ولكن يمكن القول بأن عدد الشيعة في العالم الإسلامي يزيد عن خمس المسلمين، ويقل عن الربع. فعندما يختلف عدد المسلمين ، فإن بعضهم يقول عدد المسلمين أربعمئة مليون وبعضهم يوصلهم الى ستمئة مليون، وبعضهم يوصلهم الى أكثر من ذلك. والواقع أن عدد الشيعة يتبع هذه النسبة من عدد المسلمين.

س2 - كيف استطاع الشيعة الوصول الى الحكم في تلك الحكومات التي أسسوها على طول التاريخ، فهل كان الوصول عن طريق القيام الشيعي ضد الحكومات السالفة، أم عن طريق الاغتيال والانقلاب العسكري؟ وهل كان أخذهم للحكم في مجتمع شيعي أم لا وبأي شرائط كان؟ وبصورة أوضح، بيّنوا لنا كيف ظهرت حكوماتهم؟

الجواب: هذا يختلف باختلاف الدول. بعضها كالأدراسة في أفريقيا لم يحتج الأمر إلا الى مجرد دعوة، مجرد ان دعا إدريس، اجتمع عليه الناس ونجحت دعوته.

أما الدولة الفاطمية فقد احتاجت في أوّل عهدها للقتال حتى تحقق لها الأمر، ثمّ امتدت من شمال أفريقيا الى مصر بالقتال أيضاً . وكذلك امتدت الى سوريا والحجاز بالقتال. أما بقية الدول كالدولة البويهية

والحمدانية وما أشبههما، فقد كان الوضع العام في البلاد الإسلامية يبيح لكل جرىء ومقتحم أن ينشئ دولة بكل سهولة.

فالدولة الكبرى كانت ضعيفة، فكان بمقدور كل إنسان أن يستقل بمكان مختص به بطريق الدعوة ، وأحيانا مع أتباع قليلين.

س3- أوضحوا لنا حياة صلاح الدين الأيوبي في الحكم في العالم الإسلامي ولاسيما فيما يتعلق بالشيعة؟ وبما أنكم كمفكر إسلامي ولكم اتصال مع الفرق الإسلامية من غير الشيعة، بماذا توصوننا في التعامل مع الآخرين؟

الجواب: خلاصة ما نقول في صلاح الدين الآن أن قصة صلاح الدين من زيف التاريخ. إن صلاح الدين بحقيقته المجردة شيء تافه جداً، بل وفوق التافه.

وأما عن السؤال الثاني فهو يحتاج الى شروح كثيرة، ولكننا نلخصه بأن على الشباب المسلم أن يتمسك بإسلامه الى أقصى حد.

س4- بينوا لنا شرحا وافيا عن الشيعة في جبل عامل؟ وكيف تعرفون التشيع لأهل السنة؟

الجواب: ما يتعلق بشيعة جبل عامل، فإن شرح أحوالهم يحتاج الى أكثر من محاضرة، فلا يمكن بهذه الكلمات أن نحدد حياتهم وأمورهم بما يشبع فضول السائل.

أما التعريف بالشيعة في العالم فاني أقول لكم بكل أسف أن العالم الإسلامي يجهل حقيقة الشيعة، وأن العالم الإسلامي كله يعتقد بالشيعة اعتقادات ذكرنا قسما منها فيما سبق، والاعتقادات المسيطرة على عقول المسلمين بهذا الشكل.

وليس من السهل إزالة ما علق في النفوس طوال قرون طويلة، ولكننا بحمد الله استطعنا بجهودنا المتواضعة البسيطة أن نعرف بحقيقة الشيعة بقدر ما وصلت إليه جهودنا. وهي ليست بهذا الحد من التوفيق الكبير على كل حال.

سمعتم فيما سبق كيف أن كتاباً صدر قبل شهر يقول إن جعفر الصادق هو إمام الزيدية.

س5- كم يكون عدد الشيعة بالنسبة الى أهل السنة في كل من ليبيا والجزائر والأردن وسوريا ومصر؟

الجواب : إذا استثنينا سوريا فليس في هذه البلاد التي ذكرتها شيوعي واحد أصلاً . وفي سوريا العدد قليل جداً ، وفي مصر قلائل مهاجرين، مع أن الشعب المصري في عواطفه شيوعي بحت، فهو دون أن يدري يتعلق بأهل البيت(عليهم السلام) ويحبهم ويغض الشيعة، لأنه لايعرف حقيقة الشيعة، ويعتقد أن لهم اعتقادات تخرجهم عن الإسلام وهذا من نقص التعريف الذي أشرنا إليه في السؤال الأول.

والذين قالوا إن جعفر الصادق إمام الزيدية هم علماء وكتاب مصريون.

والشيعة الموجودون في مصر كانوا في السابق عدداً لا بأس به ولا يتجاوز المائة. كانوا في معظمهم إيرانيين نزحوا وسكنوا مصر كتجار وأنشأوا غرفة التجارة الإيرانية المصرية، ثم نسلهم بدأ يزوب في جميع مصر، ولا يعرف عنه شيء، وكذلك بعض السوريين أيضاً هم من الشيعة النازحين. وبعض الإيرانيين الذين سكنوا مصر، بلغوا مقاماً رفيعاً جداً في المجتمع المصري. يمكن أن نذكر منهم المشكي، وكان ميرزا مهدي رفيع مشكي يعتبر من أبرز الشخصيات في مصر، وكانت تقام في محرم الذكرى ولكن هذا انتهى بزوال أجيال، جيلاً بعد جيل، ولم تعد إقامة الذكرى .

6- هل كانت الحكومة الصفوية في إيران شيعية؟ وإن كانت كذلك هل أنها خدمت التشيع والى أي حد من حسن التصرف؟

الجواب : الواقع أن الصفويين من أقحاح الشيعة، كانوا شيعة مخلصين، كلّ الاخلاص ولكن يمكن أن يكون في أسلوب بعضهم خطأ .

ولكن لاشك في حسن نيتهم في خدمة التشيع واخلاصهم للتشيع، وقد خدموا التشيع خدمات كبرى، وقد عاونهم في ذلك علماء جبل عامل كالشيخ البهائي وكثيرين غيره. والسبب في أخطاء بعضهم أنهم واجهوا بلاداً لم يكن فيها علماء، وكان أمر الدولة ينشأ بدون العلماء فكانت تحدث الأغلط الكثيرة التي لم تكن متعمدة، والفضل في تركيز العقيدة الشيعة وتصحيحها تصحيحاً كاملاً يعود الى علماء جبل عامل. وأشتهر اقرار كثيرون كالشيخ البهائي ووالده، والمحقق الكركي، ولكن الحقيقة وبعد البحث الطويل، وجدنا أن هناك عشرات بل يمكن مئات استدعوا الى إيران وأقاموا فيها ولم يشتهروا.

7- أوضحوا لنا لماذا نجد أكثر العالم الإسلامي اليوم يتشكل من أهل السنة؟

الجواب : يقول الشاعر العربي مخاطباً معشوقته :

تعجبين من سقمي، صحتي هي العجب.

العجب كيف بقي الشيعة الى الآن، ليس العجيب بأن يكونوا أقلية.

الذي عاناه الشيعة في التاريخ لم يعاناه شعب ولا فرقة أبداً . ولو لا إيمانهم بأهل البيت (عليهم السلام) الذي كان يدفعهم الى تحمل كلّ شيء لما بقي شيعة الى الآن.

8- ماذا تقترحون للعمل في نشر التشيع في العالم الإسلامي خاصة وفي العالم أجمع؟

الجواب : نحن الآن همنا أن نحفظ التشيع في أنفسنا، وإذا استطعنا أن نحفظ التشيع في أنفسنا وأولادنا، فتلك نعمة كبرى.

9- هل أن حكومات الأدراسة والفاطميون وبني عمار وباقي الحكومات الشيعية الأخرى كانت متطابقة مع روح الإسلام، الإسلام الذي أراد تطبيقه الإمام على بن أبي طالب (عليه السلام) . وهل وجد في التاريخ الإسلامي فيما بعد النبي (عليه السلام) حكومة عادلة غير حكومة على (عليه السلام)؟

الجواب : نقسم هذا السؤال الى قسمين. أما بالنسبة الى هذه الدول الشيعية، فإننا إذا قارنا هذه الدول بالدول الأخرى التي حكمت باسم الإسلام فلا ريب إننا سنجدها أقرب الى الإسلام من غيرها. وهذا ما كان يختلف باختلاف الحاكمين، فلاريب أن معظم من حكم من الأدارسة لاسيما حكامهم الأولين كانوا أقرب الى الإسلام الصحيح الى حد ما.

ولكن مهما كان نوع الحكم الشيعي فقد كان يتميز دائماً بشيئين اثنين:
أولاً : إطلاق حريات الناس في مذاهبهم وقول ما يريدون أن يقولوا .
وثانياً : نشر العلم والثقافة وتشجيع العلماء.

كلّ الدول الشيعية الصغيرة منها والكبيرة قامت على هذا الأساس. ومن الطبيعي أن يأتي أفراد من الحكام ممّن قد يشذون عنها، ولكن القاعدة العامة كانت كذلك.

والسبب في إطلاق الحريات العامة للناس في المناقشة يكمن في أن الرأي الشيعي هو الغالب دائماً. الشيعة مطمئنون عند ما تطلق الحريات لهم. إنّ رأيهم هو المتفق مع المنطق ومع الدليل ومع الحقيقة، فلذلك لا يخشون من حرية الرأي.

والجواب عن القسم الثاني من السؤال : وجد حكام كثيرون من الشيعة، لو كان علي بن أبي طالب حيّاً، لكان أوّل ما يعمل هو أن يبدأ بقطع رؤوسهم. وأفراد يوجد في الحمدانيين وفي الفاطميين وفي الأدارسة، مثلاً ابن سيف الدولة، فإن التشيع يبرأ منه لأنّ له تصرفات لا تتفق مع التشيع.

10- لماذا عطل تدريس المذهب الشيعي في جامعة الأزهر مع أنّ الفاطميين هم الذين أسسوا هذه الجامعة الإسلامية العظيمة؟

الجواب: لأنّ الذي جاء بعد الفاطميين هو صلاح الدين الأيوبي. وصلاح الدين الأيوبي قضى أولاً على المكتبات كلها. أحرقتها وأتلفها وأفسدها. وارتكب من الفضائح والأموال التي ينفر منها كلّ ضمير إنساني . ومنها تعطيل دراسات الشيعة في الأزهر والقضاء على الفاطمية.

فقد جمع صلاح الدين الأيوبي كلّ العائلة الفاطمية وكلّ من ينتمي إليها، ووضع النساء في سجن والرجال في سجن، ليموتوا جميعاً دون أن يتزاوجوا ويتوالدوا، وهذا شيء لم يفعله أي إنسان في التاريخ. فهذا من بعض أفعاله، فكيف يحفظ التدريس الشيعي في الأزهر.

11- من أي فرق الشيعة كان الفاطميون؟

الجواب: إن مذهب الدولة الفاطمية لم يكن المذهب الجعفري . بل كان المذهب الإسماعيلي، لكن ليس المذهب الإسماعيلي المشهور الآن من أتباع آغاخان، ولذلك لا نقول المذهب الإسماعيلي، لأننا لو قلنا ذلك فسوف يتبادر الى الذهن مذهب الإسماعيليين الحاليين الذين يتزعمهم آغاخان، بل كان المذهب الإسماعيلي في فقهه وعقائده وتقاليده أقرب ما يكون الى المذهب الجعفري، وإنما يختلف بتعداد الأئمة بعد جعفر الصادق، فلذلك أنا اسميه فيما أكتب المذهب الفاطمي، لأننا

عندما نقول المذهب الإسماعيلي يتبادر الذهن الى الإسماعيليين الحاليين.

هذه الدولة كان مذهبها الرسمي إسماعيلياً، ولكن الشعب الذي كان محكوماً بتلك الدولة كان فيه الكثير من الشيعة الجعفرية، كشيعة جبل عامل و شيعة سوريا ولبنان، وكانوا يتمتعون بحماية الدولة الفاطمية. من هنا يمكننا القول إنّ الدولة كانت مزيجاً من الشيعة الجعفرية وغيرهم . وفي آخر الدولة الفاطمية ظهر الخليفة الحافظ الذي كان شيعياً جعفرياً؛ فأعلن في خطبة الجمعة اسم الأئمة الاثني عشر. هو وحده الذي فعل ذلك، ولكن لم يدم هذا كثيراً.

12- ذكرتم الشهيد الأوّل والثاني والثالث. ماهي أسماء هؤلاء الشهداء من العلماء؟

الجواب : الشهيد الأوّل اسمه شمس الدين محمد بن مكي، والشهيد الثاني اسمه زين الدين بن علي، أما الشهيد الثالث فيحتاج الأمر الى الكثير من البحث، فقد تنازعت عدة أسماء، ولكن الأقرب الى الحقيقة أن نسمي الشهيد الثالث القاضي نور الله المرعشي، الذي قتل في الهند على التشيع . هذا الشخص غالباً ما يسمّى بالشهيد الثالث. ولكن إذا قيل الشهيد الأوّل أو الثاني يعرف حالاً المقصود منهما، أما الشهيد الثالث فيحتاج الأمر الى الكثير من التدقيق. هذا أكثر ما يقال عن الشهيد الثالث.

13- حضرة الأستاذ المحترم، أرجو بيان أنه هل يدرس غير العلوم الإسلامية في جامعة الأزهر، وإن كانت هناك دروس غير العلوم الإسلامية فماهي؟ وماهي شروط الدراسة في تلك الجامعة؟
الجواب: الجامع الأزهر الآن يشمل عدة أشياء، منها الأزهر القديم والذي أصلح وأصبح كليات للدراسات الإسلامية فقط، ويحتوي على عدة كليات ككلية الفقه، وكلية أصول الدين، وكلية اللغة العربية. والقسم الثاني هو جامعة حديثة فيها علوم أخرى ككل الجامعات ويطلق عليها اسم جامعة الأزهر. في الماضي، وفي العهد الفاطمي طبعاً كان يعتبر جامعة يدرس فيها كلّ شيء بحسب علوم ذلك العصر، لا بحسب هذا العصر.

14- مع ما للشيعة من دور في الماضي والحاضر أرجو أن تبينوا لنا الطريقة الصحيحة لنشر المذهب، وما دوركم أنتم في نشر التشيع؟ ولماذا لايتوجه أهل السنة نحو التشيع بصورة أوسع في عصرنا، عصر التقدم والحضارة؟

الجواب: كلّ ما ينقص الشيعة هو التنظيم. أعمال الشيعة أعمال فردية، فاذا لم يكن هناك تنظيم ومخططات لنشر التشيع فلن تنفع الأعمال الفردية، بل تذهب أدراج الرياح. وما صدر الى الآن من الشيعة مع الأسف أعمال فردية بحته تضعف بضعف صاحبها وتزول بزواله.

وعدم توجه السنة إلى الشيعة كان الذنب في ذلك ذنب الشيعة لا ذنب السنة.

15- هل الأدارسة وسائر الحكومات الشيعية التي ذكرتم، كانت حكومات إسلامية؟ بمعنى أنها أوجدت النظم الاقتصادية الصحيحة والنظم الاجتماعية الكفيلة بحياة الفرد والمجتمع طبقاً للإسلام الصحيح، وهل أنهم الفئودالية استأصلوا وغيرها من النظم الفاسدة من جذورها؟ وبما أنكم تكلمتم عن العلماء والحكام واهلتم الشعب، فماذا كان دور الشعب في تلك الحكومات؟

الجواب: مرّ قسم من الجواب في السؤال السابق، ويحتاج الأمر هنا الى إيضاح أكثر . فكما قلنا إن الأمر يختلف باختلاف الحكام، إذ لا ريب أن هناك بعض الحكام من هؤلاء الشيعة كان حكمهم حكماً إسلامياً بحتاً، كالمعز لدين الله، وكإدريس نفسه، ولا ريب أن حكماً آخرين كانوا أبعد الناس عن التشييع والإسلام، وهذا يختلف باختلاف الحكام.

أما الشعب في ذلك العصر فمع الأسف أن المؤرخين المسلمين في العصور الإسلامية قد أرخوا في تلك العصور للحكام، ولم يؤرخوا للشعب.

إن تاريخ الشعب الإسلامي مجهول لدينا نحن نأخذ أخباره كأخبار متفرقة، والوحيد الذي أعطانا أخباراً عن تاريخ الشعب هو أبو الفرج الاصفهاني في كتاب الأغاني وفي كتاب مقاتل الطالبين. فأخبار الشعب التي بين أيدينا قليلة جداً، لأنّ المؤرخين كانوا مؤرخين رسميين.

16- ذكرتم أن أئمة الشيعة لم يعرفوا حق المعرفة إلى يومنا هذا حتى عند الشيعة أنفسهم، فما رأيكم في علة ذلك مع مرور هذا الزمن الطويل؟

الجواب: هذا يرجع إلى عدة عوامل، كلها كانت بسبب الضغط على الشيعة. انني أؤكد لكم أن زين العابدين هذا كشخصية ذكرنا شيئاً من أعماله إذا عددنا في العالم عشرين شخصاً لهم أثر عالمي عظيم في تطوير العالم نعد زين العابدين واحداً منهم، ولا أحد في الشيعة يعرف ما هي حقيقة هذا الدور لزين العابدين. والسبب في ذلك بالدرجة الأولى يعود إلى العوامل التي كان الضغط فيها على الشيعة التي كانوا معها مضطرين أن لا يصدروا حقيقة ما عندهم من العلم، وكانوا مضطرين أن يأخذوا الجانب العاطفي من حياة الأئمة.

17- كيف يمكننا اليوم أن نتعرف على أئمتنا حقّ المعرفة؟

الجواب: الذي ينقص الشيعة وعلماء الشيعة

وكتاب الشيعة هو التخصص. وذلك بأن يتفرغ

بعض الأكفاء القادرين، كأصحاب المواهب في

الكتابة والبحث والمطالعة والتفكير، ويتخصصوا في

تتبع أخبار الأئمة، وعند ذلك يستطيعون أن يخرجوا هذه الكنوز.

أما بدون التخصص فاننا نجد أحدهم يكتب في التاريخ، ويكتب في الفقه، ويكتب في الحديث، ويكتب في كلّ شيء، فيضيع جهده بين كلّ هذه الأمور. فيجب أن ينفرد أفراد معدودون، يتخصصون في كلّ موضوع من مواضيع الشيعة، ومنها دراسات حياة الأئمة.

وليس الأمر صعباً لو وجد من يتخصص في ذلك.

والسلام عليكم.

المحاضرة الثالثة

خيانات التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الزمخشري عن عليّ بن ابي طالب(عليه السلام)

فأجاب:

«ماذا أقول في رجل كتم أعداؤه فضائله حسداً، وكتمها أولياؤه خوفاً، ثمّ ظهر من بين ذين وذين ما ملأ الخافقين».

هذه الكلمة التي أطلقها الزمخشري في الحديث عن عليّ بن أبي طالب(عليه السلام)تصور لنا حقيقة مؤلمة في التاريخ الإسلامي.

حيث تحكّم بهذا التاريخ شيئان اثنان: الحسد والخوف، على حدّ تعبير الزمخشري.

واستطيع القول: إنّ أوّل معول عمل على تهديم تاريخ الإسلام، هو القرار الذي صدر في عهد أحد الخلفاء بمنع تدوين الحديث.

إنّ فريقاً من مفكري المسلمين كانوا بعيدي النظر فارتأوا أن تدون أحاديث النبيّ، وأن تؤخذ من أفواه الذين سمعوه منه مباشرة قبل أن يموتوا وكانت حجتهم في ذلك هي المصدر الثاني بعد القرآن للشريعة الإسلامية.

فمادام القرآن قد جمع، وكان ذلك أمراً لا بدّ منه، فكذلك لا بدّ من جمع الحديث توثيقاً لمصدر من مصادر الشريعة، لأنه هو وحده الشارح الأوّل والموضح لما اشتبه من آياته.

ولما لم يكن هؤلاء يفكرون في التاريخ، وإنما كانت تغلب عليهم النزعة الدينية وحدها، فقد كان يهتمهم حفظ الشريعة الإسلامية، ولكن من جاء بعدهم كان يهتمهم الأمران معا حفظ الشريعة الإسلامية، وحفظ التاريخ الإسلامي.

صحيح إنّ الهدف من تدوين حديث النبيّ كان التشريع أوّلاً، ولكن الصحيح أيضاً أنّ النبيّ وهو يحدث كان يتضمن حديثه الكثير من الإشارة الى الوقائع الإسلامية، بل إنّ الباعث الأوّل لكثير من أحاديث النبيّ كان الوقائع نفسها.

وكذلك كان الباعث لكثير من الأحاديث هو الاشخاص أيضاً، ونستطيع أن نقول إن تدوين الحديث هو جزء من تدوين التاريخ.

ومن هنا لو كان قد تمّ تدوين الحديث بعد وفاه النبيّ مباشرة لكان أعظم خدمة للإسلام بعد جمع القرآن.

ولكن هذا الخليفة رفض أن يقوم بتدوين الحديث، وهدد من يفعل ذلك بأشد العقاب. فامتنع الناس عن التدوين.

وأصبح عدم التدوين هو القاعدة المعمول بها. وأصبح التدوين هو الجريمة الكبرى. ومن حسن الحظ فإنّ العذر الذي اعتذر به الخليفة لمنع التدوين، هو الذي سمح لهذا الخبر أن يتسرّب إلينا من خلال السدود التي أقيمت دون التاريخ الصحيح، ولظلت هذه الحقيقة مطموسة كغيرها من الحقائق، ولما عرفنا عنها شيئاً، ولجھلنا السبب الذي حمل المسلمين على أن يهملوا تدوين حديث نبيهم.

رجع المسلمون الى الصواب بعد عشرات السنين، وقرروا تدوين الحديث، لم يختلط الحديث بالقرآن، بل ظل الحديث حديثاً والقرآن قرآناً.

إن منع تدوين الحديث وما تلاه من عدم تدوين التاريخ، تركا الحديث والتاريخ تحت رحمة رجلين اثنين لانجد في تاريخ أمة من الأمم أجراً منهما على الكذب واختراع الأخبار، خدمة لأهدافهما وأهداف ساداتهما.

أما الحديث النبوي فقد أصبح تحت رحمة رجل مثل أبي هريرة. وأما التاريخ فقد أصبح تحت رحمة رجل مثل سيف التميمي.

وأصبح هذان الرجلان مسخرين للقوتين الكبيرتين: قوة السلطة وقوة المال.

وبالنتيجة أصبح المؤثران في التاريخ الحسد والخوف - كما عبر عن ذلك الزمخشري - الحسد جعل الخصوم الذين وجهوا أمثال سيف التميمي ليروي لهم ما يشاؤون والخوف خوف المخلصين الذين لا يجرؤون على مناقشة ما يروى، خوف القتل.

ولكي نعلم ماذا كان ينتظر الذين يعترضون على الآراء المعروضة، ونشير الى بعض الأحداث، منذ عهد معاوية.

أوجد الأمويون وظيفة جديدة، وأوجدوا لها موظفاً خاصاً يكون دائماً الى جنب الوالي. هذه الوظيفة هي وظيفة صاحب العذاب.

هكذا كان اسم صاحب هذه الوظيفة . اسمه صاحب العذاب، ومن هذا الاسم يعلم ما هي وظيفته.

قال ابن عبدالبر في كتاب الاستيعاب وهو يتحدث عن قيس بن خرشة القيسي: أراد عبيد الله بن زياد تعذيبه، لأنه كان قوالاً بالحق، فلما أعد له العذاب، مات قبل أن يصيبه شيء.

وصاحب السيرة الحلبية يقول وهو يروي القصة:

إن عبيدالله بن زياد قال ائتوا إليّ بصاحب العذاب، فمات عند ذلك قيس.

لقد كان مجرد ذكر صاحب العذاب كافياً لأن يحدث صدمة في نفس الصحابي قيس بن خرشة، فيموت في الحال.

لقد كان يعلم ما ينتظره من صاحب العذاب. ولكن هناك من لم يمت بهول الصدمة، فصدموا بالعذاب وتحملوه.

ومن هؤلاء سيف بن فضيل الذي أحضره زياد بن أبيه. فلما أحضر عنده، قال له زياد: ما تقول في أبي تراب.

قال سيف: ما أعرف أبا تراب .

قال زياد : ما أعرفك به؟

قال سيف : ما أعرفه .

قال زياد: أما تعرف علي بن أبي طالب .

قال سيف : بلى.

قال زياد فذاك أبو تراب .

قال سيف : كلا فذاك أبو الحسن والحسين.

فقال له صاحب الشرطة: يقول لك الأمير أبو تراب وتقول أنت لا؟

قال سيف: وإن كذب الأمير، تريد أن أكذب وأشهد له على باطل كما شهد؟

قال زياد: وهذا أيضاً من ذنبك، عليّ بالعصا فأتي بها.

فقال زياد: ما قولك في عليّ؟

قال سيف: أحسن قول أنا قائله.

قال زياد: اضربوه بالعصا حتى يلصق بالأرض، فضرب حتى لزم الأرض.

ثم قال زياد: أتركوه، أيه قولك في عليّ؟

قال سيف: والله لو شرحتني بالموسي والمدي ما قلت إلا ما سمعت مني.

قال زياد: لتلعننه أو لأقتلنك .

قال سيف: إذا تقتلني قبل ذلك.

وبالفعل فإن مصير سيف كان القتل، ولم يتزحزح قيد شعرة عن قوله.

في بذل صاحب بيت المال الذي كان ينتظر الدعاء. وفي ظل صاحب العذاب الذي كان ينتظر

الآخرين; كتب التاريخ.

لقد قادت عائشة حرباً على عليّ بن أبي طالب، وجردت في وجهه السيف في معركة الجمل. إذاً

فليس شيء أجدى في تحطيم عليّ من رفع شأن عائشة والوصول بها حتى الى غير المعقول.

صارت عائشة بنظر معاوية رمزا يمثل المطالبة بدم عثمان. ودم عثمان هو الأساس الذي قامت عليه

الدولة الأموية، ولهذا أخذت الدولة تقديس عائشة وتشجع الناس على تقديسها في كلّ سبيل.

ففي الوقت الذي صار عليّ بن أبي طالب يشتم على المنابر، أصبحت عائشة سيدة نساء العالم.

وفي ظل صاحب بيت المال، وظل صاحب العذاب، سجل التاريخ، ولكن هذه المرة على لسان رواة

الحديث لارواة التاريخ.

سجل المسجلون مثلاً هذا الحديث وزعموا أنّ النبيّ قال:

خذوا ثلثي دينكم عن هذه الحميراء. والمقصود بالحميراء عائشة كما تعلمون، فإذا كان النبي قد أوصى بأن نأخذ ثلثي ديننا عن الحميراء، فما شأن من يتجرأ على قتالها؟ المرأة التي يأمرنا النبي بأن نأخذ ثلثي ديننا عنها، لا يكتفي علي بن أبي طالب بأن لا يأخذ ثلثي دينه عنها، بل ولا يأخذ ذرة من دينه عنها، لا يكتفي بذلك، بل يجرّد سيفه ويقود جيشاً لقتالها وهزيمة جيشها. ومن المضحك وشرّ البلية ما يضحك كما يقول العرب: إنّ الذين أطلقوا على عائشة لقب الحميراء قالوا إنّ المقصود بكلمة حميراء الجميلة جداً، إذا لنتصور أيها السادة نبياً عظيماً يدعو الناس الى رسالة عالمية ودين عظيم، ثم يقول لأتباعه مشيراً الى زوجته خذوا ثلثي دينكم عن هذه الحميراء. هذه المرأة الجميلة.

هذه هي الصورة الفظيعة التي وضعها معاوية للنبي ودعوته وعرضها على رواة الحديث لينقلوها الى المسلمين، فنقلوها غير متورعين، وبلغت الغفلة بأكثرية المسلمين الى أن يتقبلوها ويذكروها في صحاحهم. وهكذا كتب التاريخ.

أما خديجة فقد طمست أخبارها. خديجة أول الناس إسلاماً، والتي وقفت الى جانب محمد في أخرج موقف، والتي كانت عضده عند الشدائد، والتي أتلفت مالها في سبيل الدعوة الإسلامية، خديجة هذه طمست أخبارها كلّ الطمس، لأنها أم فاطمة وجدة الحسن والحسين .

قلت في مفتح الكلام أن عدم تدوين الحديث بعد وفاة النبي مباشرة، والذي أدى الى عدم تدوين التاريخ، جعل الحديث تحت رحمة رجال أمثال أبي هريرة، وجعل التاريخ تحت رحمة سيف التميمي. وحين يدقق في شخصية كلّ من الرجلين، ثمّ في مهمة كلّ منهما، نجد أنهما اختيرا بمهارة فائقة أختير أبو هريرة لرواية الحديث النبوي، وأختير سيف التميمي لرواية التاريخ.

والسبب في ذلك أن رواية الحديث النبوي تتعلق بالدين، فلا بد لها من رجل يستطيع أن يتظاهر بالتدين ليلعب بعقول الناس. وأبو هريرة كان خير من يمثل هذا الدور.

أما رواية التاريخ فلم يكن لها يومذاك مثل هذه القدسية، وكانت تعتبر نوعاً من القصص. لذلك لم تكن تهم الناس شخصية الراوي، وسيف التميمي كان من الاستهتار بحيث لا يستطيع أن يغلف شخصية بغير حقيقتها، لذلك أختير لرواية التاريخ.

ولسوء حظّه، ولحسن حظّ الحقيقة أنه كان مضطراً أحياناً لكي يدعم قصصه، بأن يروي شيئاً من الحديث، ومن هنا تعلق به من جاء بعده، وأبعد ذلك لتمحيص رواة الحديث. فماذا كان رأيهم في سيف التميمي.

إنني أضع أمامكم شيئاً من الصفات التي وصف بها دارسوا الرجال لشخصية سيف التميمي.

أولاً: يروي عن خلق كثير من المجهولين.

ثانياً: ضعيف الحديث. ومعنى ضعيف الحديث أنه لا قيمة لحديثه.

ثالثاً: متروك. يضع الحديث. أي أنه يجب ترك ما يرويه من الحديث لأنه يخترع الأحاديث.

رابعاً: هو في الرواية ساقط.

خامساً: يروي الموضوعات عن الثقات.

سادساً: عامة أحاديثه منكورة.

سابعاً: متهم بالوضع والزندقة.

هذه بعض الصفات التي وصفه بها المؤلفون الذين اشتغلوا بعلم الرجال ليصححوا الأحاديث. ولكن هذا الذي يروي عن المجهولين، هذا الضعيف الحديث، هذا الذي يجب تركه لأنه يخترع الأحاديث، هذا الساقط في رواية الحديث، هذا الذي يخترع الأحاديث ثم يرويها عن الثقات. هذا الذي يجب أن تستنكر جميع أحاديثه. هذا المتهم بالزندقة واختراع الأحاديث، هذا الموصوف بهذه الصفات كلها، هو المعتمد في رواية التاريخ.

وهو الذي أخذ عنه الطبري في تاريخ الفترة الممتدة من مرض النبي ووفاته حتى آخر خلافة عليّ. والذي استطاع أن ينفذ المخطط الأموي في تحريف كلّ ما يتعلق بعليّ بن أبي طالب، ونص النبي عليه بالخلافة، وتحوير الأحداث الحاسمة تحويراً يرضي أسياده.

وكمثال على ما فعله، نذكر اختراعه لقصة عبدالله بن سبأ وجعله هو المحرّض للناس على عثمان، وتشويهه للحركة الشعبية العظيمة التي أدت إلى إنهاء خلافة عثمان.

لقد استطاع سيف التميمي أن ينسب تلك الحركة إلى رجل يهودى اخترعه.

وأن يجعل رجالاً أبطالا أمثال أبي ذر الغفاري ومالك الأشتر وعمار بن ياسر، هم واخوانهم الأحرار، الأعيب بيد رجل يهودى يتظاهر بالإسلام.

استطاع أن يوقع الشبهة على هؤلاء الأبطال، لا لشيء إلا لأنهم من أخلص الناس لعليّ بن أبي طالب.

واستطاعت أكاذيب سيف التميمي أن تمضي من عصر إلى عصر، حتى وصلت إلى أمثال أحمد أمين في كتاب فجر الإسلام وضحى الإسلام، وبذلك أصبحت أقاويل سيف مصدراً للباحثين في هذا العصر.

على أن الإنصاف يقتضينا أن نقول إنه إلى جانب أحمد أمين قد وجد رجال محققون آخرون يبنون أقوال سيف ولا يأخذون بها، كالدكتور طه حسين والشيخ محمود أبو ريه، العالم الأزهرى.

كما أن أحمد أمين نفسه عند ما فقد بصره في أواخر حياته وعاد إلى صفاء النفس ونقاء الروح، نقض كلّ ما قاله في فجر الإسلام وضحى الإسلام، فقد كتب كتاباً آخر في تلك الفترة سمّاه «يوم الإسلام» كان في كلّ محتوياته تأييداً للنظرية الشيعية لنص النبي بالخلافة على عليّ.

لقد كان صريحاً في قوله إن إهمال العمل بهذا النص كان سبب حدوث ما حدث من الفتن في الإسلام.

وقد شدّد أحمد أمين في كتابه الأخير اللوم على الذين حالوا بين النبيّ وبين أن يكتب للمسلمين رسالته الأخيرة، حين طلب وهو في مرضه أن يأتيه بدواة وقرطاس ليكتب لهم كتاباً لا يضلون بعده أبداً. في هذه الخاتمة التي اختتم بها أحمد أمين حياته، كقرّ عن بعض ما جناه في فجر الإسلام وضحى الإسلام.

الطبري هو مؤرخ الإسلام الأوّل، وعنه أخذ كلّ المؤرخين الذين جاؤا بعده، لقد كان الطبري يتحدث عن النعمة الشعبية العامة على حكم عثمان، وحاول أن يعدد شكوى الناس، ويفصل الأمور الواقعة، ولكنه توقف فجأة وقال كرهت ذكرها.

لقد كره الطبري ذكر الأمور التي أثارت نقمة على الخليفة، وهذا القول يعطينا الفكرة عن الذين حاولوا أن يكتبوا متجردين، فكيف بالذين كان المشرف على أعمالهم التاريخية صاحب بيت المال وصاحب العذاب.

الأمور التي كره الطبري ذكرها ومنعنا من ذكرها، هي جوهر الموضوع، وهي صورتها الحقيقية. وبذلك فقدنا الجوهر وفقدنا الصورة الحقيقية.

وإذا كان هذا ما وقع فيه الطبري وهو يبعد عنا مئات السنين فلنر ما وقع فيه مؤرخ عاش بيننا في هذا القرن، هو الدكتور محمد حسين هيكل صاحب كتاب حياة محمد.

لقد نشر الدكتور محمد حسين هيكل كتابه أوّل ما نشره في مجلته التي اسمها «السياسة الأسبوعية». نشره في حلقات متتابعة في كلّ عدد حلقة، وكنت تلميذاً في المدرسة عند ما قرأت السياسة الأسبوعية ولا أزال أتذكرها واحتفظ بها.

وعند ما وصل الدكتور هيكل الى القصة المعروفة المسماة حديث الدار، وهي القصة التي تروي دعوة النبيّ لعشيرته وقوله لهم: «أيكم يوازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي»، وكيف أن الجماعة كلهم رفضوا أن يجيبوا له إلا عليّ بن أبي طالب، فقال له النبيّ «أنت أخي ووصيي وخليفتي».

نشر الدكتور هيكل هذه القصة بحذا فيرها في مجلته. فاعترض عليه معترض بأنّها عين ما تقوله الشيعة، وهو نص بالخلافة على عليّ بن أبي طالب بعد النبيّ مباشرة.

فرد الدكتور هيكل على المعترض بأن هذا ما يقوله التاريخ. هذا ما قرأته بنفسى في مجلة السياسة الأسبوعية.

ثمّ نشر الدكتور هيكل مجموعة هذه المقالات في كتاب واحد ونشر القصة كما هي. نفذت الطبعة الأولى، فاعاد الدكتور هيكل طبع الكتاب في طبعة ثانية، فاذا به يشوه القصة ويحذف منها ما يفسد الغاية منها، ولما تساءل المتسائلون عن السبب الذي جعل الدكتور هيكل يدافع عن القصة في

المجلة، ثم ينشرها كاملة في الطبعة الأولى، ثم يشوهها في الطبعة الثانية وما تلاها من طبعات، عرفوا السبب.

ذلك أنّ الدكتور هيكل عرض على وزارة الأوقاف أن تشتري منه (من الطبعة الثانية) ألف نسخة ثمنها خمسمائة جنيه مصري؛ فاشتراط الوزير عليه أن يحذف من هذه القصة العبارات التي تنص على عليّ بالخلافة؛ فاستجاب الدكتور هيكل، وقبض الخمسمائة جنيه، ولم يعد ما قاله التاريخ، ونسى كلّ ما كتبه في مجلته، وفي الطبعة الأولى، وكان اغراء الخمسمائة جنيه أقوى من اغراء الدفاع عن التاريخ الصحيح.

والسياسة الأسبوعية موجودة، والطبعة الأولى موجودة والطبعة الثانية موجودة.

وقد تحدى أحد المؤلفين الدكتور هيكل أن يبين السبب الذي جعله يشوه التاريخ هذا التشويه فلاذ بالصمت لأنه يعرف أنه لو تكلم فان الكلام لايشرفه.

يجري هذا في هذا العصر وفي بلد ديموقراطي فيه مجلس نيابي وفيه ميزانية معينة للدولة لا يستطيع أحد أن يتجاوزها.

فكيف كان يجري الحال في الحكم الفردي المستبد في عهد الأمويين والعباسيين الذي كانت فيه أموال الدولة نهباً لأولئك الحكام. يستطيعون أن يشتروا فيه الذمم ويشتروا الذمائم.

وأعظم الخيانة في التاريخ هي كانت خيانة تاريخ الشيعة وتاريخ عقائدهم فقد كتب تاريخهم عمال الأمويين والعباسيين فحولوا الاحاديث النبوية الصحيحة ونسبوا الفضائل لغير أهلها وشوهوا الحقائق وإذا أراد الشيعة أن يتكلموا فان صاحب العذاب حاضر.

وهكذا نستطيع أن نقول إن التاريخ كتب بين الحسد والخوف كما قال الزمخشري.

ومن أفضع خيانات التاريخ، تجاهل الحقائق التي لايمكن حجبها؛ فتسربت من خلال الأقلام الحاقدة بالصدفة فقط.

من ذلك ما ذكره ابن الأثير من أن صلاح الدين الأيوبي رفض طلب نورالدين محمود مشاركته الهجوم على الصليبيين الذين كانوا يحتلون فلسطين.

يقول ابن الأثير وكان المانع لصلاح الدين من غزو الأفرنج الصليبيين، الخوف من نور الدين، فانه كان يعتقد أن نور الدين متى زال الصليبيون عن طريقه أخذ البلاد منه، فكان يحتمي بهم عليه ولايؤثر استيصالهم. هذا ما يقوله ابن الأثير نفسه ومع ذلك فكاتبو التاريخ اليوم وقبل اليوم ومنهم ابن الأثير يغمضون عيونهم عن هذا، ويرفعون صلاح الدين الأيوبي الى أعلى درجات التكريم، لسبب واحد هو أن صلاح الدين قضى على الدولة الفاطمية وذب الشيعة ثم فعل صلاح الدين الأيوبي أكثر من ذلك.

فبعد ما مات نورالدين وخلا الجو لصلاح الدين عزم صلاح الدين عند ذلك على قتال الصليبيين.

وعندما فتحت القدس رأى الخليفة الناصر في بغداد أن يواصل صلاح الدين الحرب حتى إجلاء الصليبيين عن آخر بلد يحتلونه، واقترح على صلاح الدين أن يبعث له من العراق جيشاً يساهم في

الحرب، ولكن صلاح الدين رفض ذلك وأسرع فعقد هدنة مع الصليبيين سلمهم فيما سلم بالحرب بلاداً لم تكن لهم، وأوقف الحرب معهم وآثر الاستسلام لهم كما يروي ابن الأثير، وغير ابن الأثير، وكلّ المؤرخين ذكروا بأنه سلمهم حيفا، وقيصاريا، واللد، والرملة وغير ذلك من البلاد.

ومع هذا فصلاح الدين اليوم وقبل اليوم هو بطل الأبطال، لأن صلاح الدين قضى على الدولة الفاطمية وذبح الشيعة، والقضاء على الدولة الفاطمية وذبح الشيعة حسنة تمحو كلّ السيئات.

في حين أن القضاء على تلك الدولة هو السيئة التي تمحو كلّ الحسنات.

وأن من أعظم ما نزل بتاريخ الشيعة من ظلم هو تجاهل ما عملوه في نشر الإسلام في أقطار لم يكن ليدخلها الإسلام لولا أن الشيعة هم الذين تولوا نشره فيها.

الشيعة هم الذين حملوا الإسلام الى أفريقيا الشمالية كما سمعتم، والشيعة هم الذين حملوا الإسلام الى أفريقيا الشرقية أيضاً.

ويجب أن نشير الى أثر الإيرانيين في أفريقيا الشرقية، فان جماعات من أهل شيراز هاجروا الى هناك وعملوا على نشر الإسلام ونجحوا في ذلك، وما حدث في شمال أفريقيا وشرقها، حدث مثله في شرق آسيا، حيث حمل الإسلام إليها فريقان، فريق من السادة العلويين، فاوصلوه الى الصين وكمبوجيا وسيام وماليزيا، وفريق من الإيرانيين ساهموا مع السادة العلويين في حمله الى أندونيسيا.

وهناك شيء آخر ظلمه التاريخ، هو موقف الإمام جعفر الصادق عليه السلام من حركة التأليف في الإسلام.

فلقد كان من جراء منع تدوين الحديث بعد وفاة النبي أن امتنع الناس من تدوين أي شيء، ولكن الإمام الصادق (عليه السلام) حث تلاميذه وحرصهم على تدوين الكتب.

فألف أبان بن تغلب كتاب معاني القرآن.

وألف المفضل بن عمر كتاب التوحيد.

وألف جابر بن حيان كتابه في الكيمياء.

كما انصرف غير هؤلاء الى التأليف، وهم كثيرين كزرارة بن أعين، وأبي بصير، ومحمد بن مسلم، وإسماعيل بن خالد وأمثالهم. حتى بلغ عدد ما ألفه تلاميذ الصادق أربعمئة كتاب لأربعمئة مؤلف.

ومن هنا إنطلقت حركة التأليف في العالم الإسلامي، وكان الداعي إليها جعفر الصادق (عليه السلام). والكاتبون في التاريخ يهملون هذا الأمر ولا يشيرون إليه.

نستطيع القول إن ما في الفقه الشيعي مثلاً من تقديم آراء سديدة، وما يمتاز به من تفوق، إنما يعود الى أن هذا الفقه يستند الى الأحاديث التي رواها الأئمة واحداً عن آخر حتى يوصل الى جدّهم النبي (صلى الله عليه وآله). ومن الطبيعي أن يكون الحديث الذي يرويه مثلاً جعفر الصادق عن محمد الباقر عن زين العابدين عن الحسين بن علي بن أبي طالب عن النبي هو أصدق الحديث.

في ختام هذه الكلمات أرى لزاماً عليّ أن أقدم شكري الى حسينية إرشاد، التي هيأت لنا هذا اللقاء في هذه الليالي الثلاث، وأرجو لها اطراد النجاح والتقدم بهمة القائمين عليها من هيئتها المديرة وأصدقائها المناصرين.

أيها السادة، هذه آخر ليلة ألتقي فيها بكم وسافركم بعدها.
أيها الإيرانيون لقد كنت في الماضي أحبكم لأن عليّ بن أبي طالب أحبكم لأنكم أحبتم عليّ بن أبي طالب . وبعد أن رأيتم زدت حباً لكم لأنكم أنتم أنفسكم جديرون بالحب.
من هذه الليلة التي أفارقكم فيها لن أكون مؤرخاً يكتب بلغة المؤرخين الجافة، بل سأتحول الى شاعريّ يكتب بلغة الشعراء، بلغة الدموع.
وداعاً يا أحبائي الإيرانيين ووداعاً يا إيران يا وطن الروح.
هنا ملاحظة صغيرة:

اتصل بي كثير من الاخوان وطلبوا مني العمل على ترجمة دائرة المعارف الى اللغة الفارسية، وكانت هذه الفكرة في ذهني، ولكن اضطراري للسفر السريع يمنعني من الإجابة إلى ذلك الآن.
لذلك فان كلّ أمر يتعلق بدائرة المعارف بأقسامها الثلاثة، الانجليزية والعربية والفارسية يمكن الاعتماد به على الدكتور موسوي المترجم.
والسلام عليكم.

الأسئلة الواردة

1 - هل صحيح تاريخياً أن أبا بكر الخليفة الأول صلى مكان النبي في حياته أم أنّ ذلك غير صحيح؟ وإن كانت غير صحيحة، فكيف يمكن التحريف في مثل هذه الواقعة التاريخية؟
الجواب: تفصيل ذكر الحادثة يحتاج الى شيء كثير من التفصيل ولكن نستطيع أن نقول جازمين أن ما يروى من أن النبي أذن بصلاة أبي بكر لا يثبت تاريخياً أبداً، بل إن النبي خرج وهو مريض محمولا من رجلين ليمنع ويحول من صلاة أبي بكر بالمسلمين . وهذا ثابت بالنصوص التاريخية.

2 - من هم الدرّوز في لبنان، ومن أي فرق الشيعة هم؟
الجواب: هذا السؤال بالرغم من أنه خارج عن الموضوع ولكنه يتصل بالموضوع من جوانب كثيرة ولا توجد مصادر لتوضيحه، لذلك سنوضحه، المذهب الدرّوزي يوجد فقط في لبنان وسوريا وفلسطين، وهو مذهب سري لا يطلع أصحابه أحداً على عقائده أبداً ولا يقبلون أن يدخل في مذهبهم أحد، وهم مشتقون عن الإسماعيلية الأغاخانية. هذا خلاصة ما يمكن ذكره.
3 - ذكرتم أن الشيعة هم الذين أدخلوا الإسلام الى شمال وشرق أفريقيا، فهل أن مسلمي تلك البلاد من الشيعة؟

الجواب: لا، لا يوجد الآن في كلّ أفريقيا أي شيعي، إلا بعض المهاجرين من لبنان فقط في أفريقيا الغربية، أما في أفريقيا الشرقية، فيوجد مهاجرون أصلهم من الهند والباكستان، وأما من نفس أفريقيا فلا يوجد شيعة، وهذا سؤال معقول، لأنّ الشيعة قامت لهم دول في أفريقيا، ولكن مع الأسف فإنّ المذابح التي تعرّض لها الشيعة في أفريقيا الشمالية محت الشيعة هناك.

4 - ذكرتم أن صلاح الدين الأيوبي قضى على نور الدين محمود، فأرجو أن تبيّنوا لنا ما كان مذهب نور الدين محمود؟

الجواب: كان سنياً متعصباً... لكن لم يكن خانناً، ولذلك لم نذكره بشراً، ونحن منصفون، فقد حارب الصليبيين، وهو أوّل من حرك الحرب على الصليبيين، ولم تكن القضية إسلامية، وبالرغم من أنه اضطهد الشيعة وأساء إليهم فانا نسكت عنه ونحسب الحسنة عندنا، لأنّ الحسنات عندنا تمحو السيئات.

5 - حول منع تدوين الحديث، هناك علاوة على الروايات المذكورة، ينقل أن السبب وراء ما ذكرتم أن القرآن الكريم كان ينسى في الرسائل وأن عمر عقد مجلساً لذلك وطرح الموضوع فيها وعمل على رأي الشورى في ذلك فهل تلك الشورى وهذه الرواية صحيحة أم لا؟

الجواب: لا، لم يكن هناك سبب وأحد، بل أسباب ذكرها المؤرخون، ولم تكن شورى ولامجلس نيابي، وقضية الرساتيق غير صحيحة وقد أجبنا عنها .

الفهرس

كلمة المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) ... 5

تمهيد... 7

المحاضرة الأولى

دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ... 11

المحاضرة الثانية

الشيعية بين العرب ... 43

الأسئلة الواردة حول المحاضرة... 69

المحاضرة الثالثة

خianat التاريخ... 85

الأسئلة الواردة... 108

الفهرس... 111